

الكاتب أو الشاعر لفته وفته هي في رأيه ورأى الحق شرط لوجوده؛ فلا يكون السبوغ والأستاذية بدونه، ولا تجزى الطبيعة ولا المحاكاة عنه. وكان — شهد الله — فيما بينه وبين أخصائه يرفع أدب العقاد لوضوح هذه الزية في كل ضرب من ضروبه. ولقد بلغ علم الرافعي بالعربية وآدابها حد الاجتهاد والرأى، فكان يقف في التمليل والاستنباط من ثقافتها وروايتها موقف الند؛ وقد يتعظم أحياناً فينف منهم موقف الأستاذ. فهو في أدبه مطلق الحرية مستقل الارادة في حدود المأثور من بيان العرب؛ ولكنه في فلسفته متيد النظر مسير الفكر لزوله في الرأى على حكم الدين

على أنك لا تسدو الصواب إذا قلت إن حرية أدبه أشبه بمبودية فكره، لأن مصدرها وموردها واحد هو القرآن. والقرآن من جهة الأدب غاية الجمال، ومن جهة الفصيلة غاية الخير، ومن جهة الفلسفة غاية الحق. لذلك كان قوله في القديم والجديد قول العربي الذي يؤمن أن لفته التي تكلم بها الله نامية بذاتها لأنها حية، ومتطورة بطبعها لأنها قوية؛ وكان قوله في المرأة والرجل قول المسلم الذي يعتقد أن دين الله حق لا يبطله قدم، وأن شرعه قانون لا يعطله شهوة. وما دام العرب أحياء فأدبهم متجدد، وما دام القرآن خالداً فدينه قائم

على هذين القطبين كانت تدور فلسفة الرافعي الأدبية والاجتماعية. ولعل تساهلت إذ قلت فلسفة الرافعي، فليس للرافعي فلسفة؛ إنما هي فلسفة القرآن وأدبه قام منها مقام ابن رشد من أرسطو: يقرر ويحجر ويدافع من غير أن يكون لمنطقه حكم ولا لرأيه اعتراض

كان الرافعي في بعض حالاته يفتن في الصورة التي يرسمها افتنان الصور الخيالي. يضيف إليها من المشاهد ما لا تتركه الحقيقة، ويضع فيها من الألوان ما لا تعرفه الطبيعة. وقصده القاصد من ذلك أن يريك قدرة ذوقه على الملاءمة، وقوة ذهنه على التوليد،

ويعطيك للشيء، أو للشخص صورة إذا لم تكن كانت، فهي التي ينبغي أن تكون. فهو إذا كتب في موضوع ما سمح لمخاطفته أن تجر، ولمواه أن يدفع، ولفته أن يزخرف، ثم يستخدم براعته في التدليل على صحة العاطفة ونزاهة الحوى وصدق الأداء، فيكون من امتزاج الخيال بالواقع، واشتباه الغلو بالقصد، والتباس البهرج بالصحيح صورة غامضة الدلالة، خافتة الروح، ولكنها بديعة الإطار، رائعة اللون، منممة الخطوط؛ وذلك أكثر ما تراه في حديث القمر والسحاب الأحمر، والمساكين، وأوراق الورد. أما إذا اتصل فنه بشموه، واقتنانه بطبعه، ورأيه باعتقاده، فأنك ترى الاشراق في اللفظ، والجلال في المعنى، والسمو في الروح، والإعجاز في الصنعة.

وهناك تجد الرافعي في جلوة الإلهام التي تشده هو نفسه فيقول لي ولئن يأس إنيه: إن حالا تشبه حالات الوحي تقوم به في بعض ساعات الليل حين يكتب في إعجاز القرآن أو في الدفاع عن أدبه، فلا يكون فيما ينشئ إلا وسيطاً ينقل عن قوة من وراء الغيب. وأكثر ما وقع له ذلك في كتابيه (تحت راية القرآن) و(وحي القلم). وكان من شذوذ العبقرية في الرافعي اعتداده بنفسه إلى حد الصلف، واعتقاده بالقيبيات إلى حد السذاجة. وله في ذلك حوادث وأحاديث ربما عرض لها صديقنا العريان في ترجمته له والرافعي بعد ذلك كله كاتب من الطراز الأول قلما يوجد مثله هذا العصر المجنون الذي يتبجح بالسرعة ويريد أن يأخذ حظه الضروري من المعرفة مختصراً في رسالة، أو مختصراً في مقالة

هذه كلمة مجملة كتبناها عفواً لخطر وفيض الذائكة في ناحية من نواحي أدب الرافعي، اعتمدنا فيها على خلاطه وحديثه وقراءته؛ أما دراسة الشرح والتفصيل، والنقد والتمثيل، والدعوى والدليل، فتلك لها طريقة غير هذه الطريقة، ومناسبة غير هذه المناسبة. ولعلني أرجع إلى الرافعي في عدد قريب فأعلن ما أفضى به إلى من الرأى الحق في خصميه طه والعقاد

محمّد الزماخشي

مات الرجل العظيم

محمد إقبال

للدكتور عبد الوهاب عزام

—»»»»»—

- ١ -

في اليوم الحادى والعشرين من أبريل الماضى والساعة خمس

من الصباح ، في
مدينة لاهور
مات رجل كان
على هذه الأرض
عالمًا روحياً
يحاول أن ينشئ
الناس نشأة
أخرى ، ويسن
لهم في الحياة سنة
جديدة ؛ وسكن
فكر جوال جمع
ما شادت له



محمد إقبال

قدرته من معارف الشرق والغرب ، ثم تقدها غير مستأمر لما يؤثر
من مذاهب الفلاسفة ، ولا مستكين لما يروى من أقوال العطاء ؛
ووقف قلب كبير كان يحاول أن يصوغ الأمة الإسلامية من كل
ما وحى التاريخ من مآثر الأبطال وأعمال العطاء ؛ وقرنت نفس
حرّة لا يحدّها زمان ولا مكان ، ولا يأسرها ماض ولا حاضر ،
فهي طليقة بين الأزل والأبد ، خفافة في ملكوت الله الذي لا يحدّ
مات محمد إقبال الفيلسوف الشاعر الذي وهب عقله وقلبه للمسلمين
وللبشر جميعاً . الرجل الذي كان يخيّل إلى وأناني نشوة من شعره
أنه أعظم من أن يموت ، وأكبر من أن يناله حتى هذا الفناء الجفاني
فاضت روح الرجل الكبير المحبوب في داره بلاهور ورأسه
في حجر خادمه القديم الوفي (الاهي بخش) وهو يقول : إني
لا أهرب الموت . أنا مسلم أستقبل النية راضياً مسروراً
كنت أقرأ كلام إقبال في الحياة والموت ، وأرى استهائه بالحام ،
واستهزائه بالدين يرهبونه . وما كان هذا خدعة الخيال ، ولا زُخرف

الشعر فقد صدق إقبال دعوته في نفسه حين لقي الموت بإسما راضياً
جد المرض بإقبال منذ سنة ، وكان يقترب إلى الموت وهو
متقد الفكر ، قوى القلب ، يصوغ عقله كلمات يوقظ بها النفوس
النائمة ، وينثر قلبه سراراً يشمل به القلوب الهامدة . وكان
يمنى بنظم كتابه (آهيك حجاز) : لحن الحجاز . وكان قلب الشاعر
يهفو إلى الحجاز وقد تمنى في خاتمة كتابه (رموز في خودي) أن
يموت في الحجاز . ومما نظم في أشهره الأخيرة :

آية المؤمن أن يلقى الردى باسم الثغر سروراً ورضا
وقد أنشد هذين البيتين قبل الموت بمشر دقائق ، وهما ما أنشأه أخيراً :
نمات مضين لي ، هل تعود ونسيم من الحجاز سميد ؟
أذنت عيشتي بوشك رحيل هل لعل الأمرار قلب جديد !
وأخر ما أنشأ من الشعر بيتان أرجهما تقرأ :
« قد أعدت جنة لأرباب الهمم ، وجنة أخرى لمُعبّاد الحرم .
فقل للمسلم الهندي لا تحزن ، فكذلك للجاهدين في سبيل الله جنة »

- ٢ -

كان تشييع إقبال إعراباً رائعاً عما للرجل الفذ في قلوب
أهل الهند عامة ومسلميه خاصة . احتشدت عشرات الألوف تودّعه
بالبكاء والزفرات ، وشاركت النساء بالمويل والنحيب ، وتنافس
الحاضرون في حمل النعش فوضع على خشبتين طويلتين ليتسنى
لكثير من المشيئين أن يشرفوا بحمل الرجل العظيم إلى مثواه
الأخير . وقد بلغت الجنازة شامى مسجد وخلفها زهاء أربعين
ألفاً ، فوقف الناس ساعة كاملة حتى تيسر لهم أن يصطفوا للصلاة
على القيد الجليل ، ثم نقلت الجنازة إلى حديقة متصلة بالمسجد .
وهناك والساعة عشر إلا رباعاً من المساء غربت شمس إقبال في
جديتها ، وطوى الجهاد الذي ملأ الدنيا في لحده ، وأدرجت
الحكمة والشعر والحرية التي تأبى الحدود والقيود في جنّتها
وضع محمد إقبال في قبره

وغشى القبر الذي تضمن روضة الشعر بضروب الزهر
والريحان ، ثم نثرت عليه أزهار أخرى من أقوال الخطباء
والشعراء الذين أطافوا بالشاعر الخالد
وتجاوبت أرجاء الهند بأقوال الكبراء يعربون بها عما أحسوا
من لوعة ، وما دهمى الهند من مصيبة ، يموت شاعرها الأكبر .
اجتمع على هذا المسلم وغير المسلم ؛ فهذا جواهر لال نهرو يقول :
« لقد دهنت وفاة إقبال بصدمة هائلة . شرفت ببقاء إقبال

من حبر من آل البيت

منذ عشرة أعوام عُقدت معاهدة على جبل « أولب » بين « أبولون » و « كوييدون » تتعلق بي . ولا أعرف على وجه التفصيل نصوص تلك المعاهدة . فلقد كانت معاهدة سرية . ولكن يخيل إلي أن « آله الفن » أراد أن يمتدني من « مناطق نفوذه » ، فخرم على « آله الحب » أن يلتقي سهما واحداً من قوسه الذهبية إلى هذه المنطقة . وقد تبين لي في مواقف كثيرة من حياتي أن « آله الحب » قد احترم حقاً هذه المعاهدة . وفي أحيان أخرى رأيت كأن « كوييدون » ينظر إلى « قلبي » نظرات ملؤها الطامع الاستعمارية ، وأنه يتحين القرض والظروف . وإله الفن ، كما هو معلوم ، ينادى دائماً بالحرية ، إذ لا فني بغير حرية مكفولة في كل زمان . وإله الحب ينزع إلى السلطة والسيطرة والعنف والتقييد بالسلاسل والأغلال . ولست أدري لماذا يذكرني هذا الصراع بينهما بالصراع القائم بين « إنجلترا » و « إيطاليا » ؟ فإنجلترا بلد الديمقراطية والحرية ، وإيطاليا رمز الدكتاتورية والسلطة المطلقة . ولقد وقع حديثاً نزاع بين الطرفين ، فأغفلت المعاهدة وألقيت السهام ، وأعلن الدكتاتور أنه افتتح المنطقة « الحرام » . فلم يمتد له منافسه بهذا الفتح . وسارت الأيام سيرها وأنا راض مطمئن اطمئنان « النجاشي » المسكين ، إلى أن قرأت في البريد الأخير أن إنجلترا ستحمل العالم على الاعتراف بالفتح الايطالي « للحبشة » ، فوضعت يدي على « قلبي » وأدركت أن « الحرية » الجميلة ليست إلا حلاً ضعيفاً تنتظره دائماً أنياب الداء ، وأن « المعاهدات » ليست إلا « عظمات » انتظار لساعات الوئيب

توقيع الحبيب

ومحادثته منذ قليل ؛ وكان مستلقياً على فراش المرض ، ولكن كان لفكره المالي وزعته الحرة في قلبي أثر بليغ . لقد فقدت الهند بفقد إقبال كوكبا لألاء مضيئاً ، ولكن شمره سيخلد في قلوب الأجيال الآتية ، وذكراه العظيمة لن تموت »

وهذا الدكتور محمد عالم يقول :

« لا تستطيع أرض البنجاب أن تخرج إقبالاً ثانياً في عصور طويلة » . ويضيق المجال عن الإكثار من أقوال أعلام الهند في قديم وأرخ بعض الشعراء وفاة إقبال (سنة ١٣٥٧) في قوله : تاريخ « بور إقبال شاعر مشرق » — كان إقبال شاعر الشرق . وأرخ آخر بقوله : كنه علامة إقبال سوى بهشت برين : ذهب العلامة إقبال شطر الجنة العالية . ترك الشاعر النابغة ابنين وبنات وأخاً وثلاث أخوات

— ٣ —

ولد محمد إقبال في سيالكوت سنة ١٨٧٦ م من عشيرة قديمة دخلت في الاسلام منذ ثلاثة قرون ، وكانت تقيم في كشمير ثم اضطرتها الحوادث أن تهجر إلى البنجاب واستقرت أسرة إقبال في سيالكوت وبدأ تعلمه في البلد الذي ولد به ، ودرس على العالم الكبير مير حسن فأذكي في قلبه حب الآداب الشرقية . ثم انتقل إلى لاهور للدراسة العالية فكان من أساتذته السير توماس أرنولد أستاذ الفلسفة الاسلامية . وقد سمعت أرنولد يفخر بأن إقبالاً تلميذ . وفي ذلك الحين شدا إقبال الشعر ، فرجا الناس فيه شاعر أخطيراً . ونال درجة أستاذ في الأدب (M.A) وصار مدرّس الفلسفة في إحدى الكليات وسنة ١٩٠٥ م سافر إلى أوروبا فتعلم في كمبرج القانون ، ثم ذهب إلى ألمانيا فدرس الفلسفة . وبعد ثلاث سنين من خروجه من وطنه رجع إليه مرجوئاً لأمنته محبباً إليها . وعمل في المحاماة وقصد الناس لا استشارته والاستعانة به في كثير من الأمور التي كانت تهتم المسلمين . وما زال نجمه يسطع ، وصيته يذيع ، وشمره يجوب أرجاء الهند ويستقر في كل قلب حتى اجتمعت قلوب المسلمين عليه ، ورددوا أقواله في خطبهم ومقالاتهم ، وتقبّلوه في أعمالهم ، وكانوا أذكي الشاعر العبقرى في كل قلب جذوة ، وملاً كل رأس فكراً ، وكل نفس حرية وعظّة ، حتى مات وكل ينسبه به ، ويطمح إلى أن يكون من المهتمين بهديّه وسأعود إلى الكتابة عن فلسفته وأدبه ان شاء الله

والله يعض الأمم الاسلامية ويمزجها عن إقبال بالاستجابة

لدعوته والسير على أثره

عبد الرهاب عزّام

صفحة من تاريخ

استيطان العرب لمصر

للدكتور حسن إبراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

—•••••—

كان العرب في مصر جلدتهم من الجند المقاتلة وقت الفتح ، ولم يزد عددهم على ستة عشر ألفاً في هذا الوقت . ولم تكن سياسة الخلفاء الراشدين تسمح بنزول الجند في ريف مصر بقصد إقطاعهم الأراضي حتى لا يصرفهم ذلك عن الجهاد . وزاد عدد الجند العرب في مصر فبلغ أربعين ألفاً في عهد معاوية بن أبي سفيان ولا شك أن هذا العدد أخذ يزداد بازدياد المنصر العربي في مصر ، وهذا نتيجة طبيعية لما كان من لحاق نساء الأجناد وأولادهم للإقامة معهم في هذا البلد ، واتخاذهم إياه وطنًا جديدًا ، وما كان أيضًا من التزاوج والاندماج في سكان البلاد الأصليين . ولعل العرب لم يفظنوا لأمر إحلال الكتائب بعضهم محل بعض في الأقاليم الإسلامية ، اللهم إلا ما كان من تناوب الأجناد الإقامة في الثغور كل ستة أشهر . وليس لدينا من المعلومات التاريخية ما يثبت أن قاعدة استبدال الكتائب في الولايات كانت معروفة عند غير العرب كالرومان والفرس . بيد أن عدم احتمال هذا الأمر أقرب إلينا من جواز احتماله لما كان يتطلبه من كثرة الأسفار

غير أن العرب في مصر — على الرغم من زيادة عددهم كما بينا — كانوا في أوائل القرن الثاني للهجرة . من القلة بحيث رأى عبيد الله بن الحبحاب عامل الخراج على مصر أن يشير على الخليفة هشام بن عبد الملك أن يأذن له في إسكان العرب من قيس في أرض الحوف الشرقي ، وأكد للخليفة أن نزولهم لا يضر بسكان البلاد . وكان يقيم في هذه الكورة نفر يسير من جديدة

نزلت قيس جهة بليس . ومرعان ما قارب عددهم خمسة آلاف ، وأخذوا يستثمرون الأرض ويتجرون في الإبل والخليل ، وكانوا يحملون عليها غلات أرضهم إلى القلزم حيث تشحن إلى بلاد العرب . هذا وقد كان لقيس^(١) ضلع كبير في الفتن التي

(١) قال السكندى (ص ٩٤ — ٩٦) : إن قيساً قامت في وجه مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية حين جاء إلى مصر هارباً من وجه العباسيين —

أقامها المصريون في وجه الولاة حين هموا بزيادة الخراج^(١) ولقد وفدت القبائل العربية على مصر تدريجياً ، فجاءت قبيلة الكثر من ربيعة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري فأقاموا في الصعيد ، واندمجوا في السكان بالمصاهرة ، وكانت لهم ضلع في الثورات والفتن التي قامت بمصر وعلى الأخص في أواخر عهد الفاطميين إذ ناروا على صلاح الدين الأيوبي بعد أن تولى الوزارة بقليل

على أن اندماج العرب بالمصريين اندماجاً فعلياً لم يتم إلا بعد أن أسقط المتصم العرب من الديوان ، وأحل مكانهم جنداً من الأتراك ، فانتشر العرب في الريف واحترفوا الزراعة وغيرها طلباً للرزق ؛ وازداد اندماجهم في السكان بالمصاهرة ، ومن ثم أخذ التمييز العربي يتلاشى شيئاً فشيئاً ، وبدأ ظل الولاة من العرب يزول باحلال الولاة من الأتراك محلهم ؛ ولم يحكم مصر بعد ذلك عربياً إلا إذا استثنينا عنبسة بن اسحق (٢٣٨ — ٢٤٢ هـ) والخلفاء الفاطميين

ثم فتح مصر على أيدي جند العرب ، ولم يشأ عمر أن يقطعهم أرضها ليكونوا على أهبة الاستعداد لتلبية نداء الجهاد وفتح البلاد المجاورة لمصر لتأمين مصر نفسها وليستقر بذلك سلطان العرب فيها . وقد فتح العرب في ولاية عمرو بن العاص الأولى بلاد برقة سنة إحدى وعشرين للهجرة وطرابلس في السنة التالية وغزوا إفريقية سنة ٢٧ هـ تحت قيادة عبد الله بن سعد (٢٥ — ٣٥ هـ) وإلى مصر إذ ذاك ، وهزموا الروم في هذه البلاد وقتلوا ملكهم ، وخربوا قاعدة ملكه وتوغلوا في بلاد إفريقية وصالحوا أهلها^(٢) ، وغزوا بلاد التوبة سنة ٣١ هـ حتى وصلوا دققة ، وفي هذه السنة اشتبك الأسطول المصري مع أسطول الروم فاتصر الأول في واقعة ذات الصواري ، ثم غزوا طرابلس مرة أخرى في ولاية عمرو بن العاص الثانية

ويظهر لنا أن هذه الغزوات لم يكن القصد منها الاستعمار لهذه البلاد وإدخالها في حوزة العرب كما كانت الحال بالنسبة إلى مصر ، وإنما كان قصد الخلفاء وولاتهم على مصر القيام بها لتأمين

== وقال القرظي (المخطوط ج ٢ ص ٨) : إن قيساً هذه ملات مروان

(١) أنظر السكندى ص ٢٦ والمخطوط للقرظي ج ١ ص ٨٠ — ٨١

(٢) قبل أن أهل إفريقية صالحوا عبد الله بن سعد على ٢٥٠٠٠٠ دينار ثم شرطوا له بعد أن توغلت جنوده في داخل البلاد ٣٠٠ قطاراً من

الذهب على أن يخرج من بلادهم ففعل بعد أن أقام المسلمون سنة وثلاثة أشهر

فلسفة التربية تطبيقات على التربية في مصر للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٦ —

« كاد المعلم أن يكون رسولا... » « شوق »
« إنما الصبرية هي في إيجاد أولئك الأساتذة الأفاضل الذين
يتطعمون أن يحملوا الشملة وأن يتناولوها غيرهم بجرأة وحاس
وإخلاص وإقدام... »
« قد نبني المدارس ونهني في تشييدها وإعدادها ملايين
الجنهات، ولكننا قد نخرج من ذلك عن تكوين الرجل المنشود... »
« أفضل النظم جدير بالنشل التام إذا لم يتم بتنفيذه من هو
كفؤ له... » « من رسالة الدكتور جاكسون »

٦ - المعلمون

رأيت في المقال السابق بعض أسباب فشل النظام في الماهد

مصر من الغرب والجنوب ولذلك كان فتح بلاد الغرب
وكان العرب يقنعون بما يصيدونه من الأسلاب والقتانم
وظلوا على ذلك حتى تحوات وجهة نظر الخلفاء، فأخذوا يهتمون
بأمر بلاد المغرب بوجه خاص، فأرسلوا إليها الجند للحفاظ عليها،
وقلدوا ولايتها ولاية مستقلين في الحكم عن أمراء مصر أو نائبين
عنهم في حكم هذه البلاد إذا تجمع بين مصر والغرب لوال واحد^(١)
وقد قام المصريون بدور هام في الغزوات البحرية في هذا
العصر، فقد بنى مسلمة بن خالد (٤٧ - ٦٢ هـ) في جزيرة
الروضة داراً لصناعة السفن وإصلاحها. وكان لبناء هذه الدار
فوائدها في حروب مصر البحرية، فقد غزا رودس الأسطول
المصري، جهزه عقبة بن نافع سنة ٤٦ هـ وتم له فتحها سنة ٥٣ هـ
ولما جاء عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) أصبح لصر
أسطول قوى شارك أسطول الشام في غزو القسطنطينية وإن
كانت هذه الغزوة قد عادت على الأسطولين المصري والشامي بالفشل
ولقد خاض الجند العرب غمار الفتن السياسية التي قامت في
هذا العصر بين الخلفاء الأربين والخارجين عليهم، وكذا بين
بنى المباس ومناوئهم، وكان لتدخلهم أثر ظاهر في هذه الفتن.

حسن إبراهيم حسن

(١) جمع مسلمة بن خالد إلى مصر الصلاة والحراج والمغرب فأقام بمصر وبنت
مولاه أبا المهاجر ديناراً عنه في المغرب، وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان

الدراسية وتبينت أثر استولوية النظار والمدرسين في ذلك الشأن.
وسترى اليوم ناحية أخرى لها من الخطورة والطرافة في عملية
التربية ما يجعلنا نهتم بها كل الاهتمام، ونصرح فيها بأشياء
ما كنا لنذكرها لولا حرصنا على المصاحبة العامة، ولولا أملنا في
أن يقابل الجميع الحقائق - على صرارها - بصدر رحب
وتقدير نزيه :

١ - هقائق

قال المرحوم شوقي بك :

قم المعلم وقته التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبنى وينشئ أنفساً وعقولا
وأحسب أن معنى ذلك الشعر العذب واضح لا يحتاج إلى
بيان، وصادق لا مبالغة فيه ولا تهويل ! فترى هل بشر المعلم
عندنا بكل ما فيه من معنى ؟ أو هل تساعد الظروف على أن
يتمثل به ويحققه في حياته الخاصة والعامة ؟ ذلك هو السؤال
المسير الذي فسكرت فيه كثيراً وتأملت من أجله طويلاً، ولست
أدرى متى يقف تفكيري فيه وألمى من أجله !!

إن المعلم أيها القارئ هو الطرف الأول في عملية التربية
والتعليم، فإذا لم يستطع أداء عمله كما ينبغي فقل على الأمر السلام !
فترى هل يجوز أن يكون ذلك الطرف مجرد ناقل علم فحسب،
ما إن يدخل الفصل حتى يتكلم ويتكلم، ويكتب بالحسك ويكتب،
ثم يخرج ويدخل هكذا كل يوم ويخرج، دون أن تقوم بينه
وبين الطلبة عاطفة من ود ولا وشيجة من إزاء ؟؟

وترى هل يجوز أن يكون ذلك الطرف متبرما من عمله،
ساخطاً عليه، نائراً على القدر الذي ابتلاه به، حاسداً لنظرائه
في المهن الأخرى حيث الراحة والجاه، والكسب الوافر والنعيم
المومق^(١) ؟؟

وترى هل يجوز ألا يقبل ذلك الطرف على تلك المهنة الخطيرة
إلا مضطراً لا ميل يدفعه، ولا غرام يحببه، بل هي الوظائف قد
أقفلت بعد الجامعة أبوابها في وجهه، وهو « المهنة » قد فتحتها

(١) أذكر أني كنت أستمع يوماً مع بعض الزملاء إلى محاضر يتحدث
عن حياة الأرواح في العالم الآخر ويقرر أن هناك مدارس ومعلمين، فما
كان من الزملاء إلا أن ضجوا وتبرموا خيفة أن يكون نصيبهم بعد الموت هو
تلك المهنة الشاقة التي ملأت عليهم حياتهم ما وشقاء وعسراً ونصباً !!

ورحب به قائماً وآكلاً ودارساً دون ما أجر^(١) ؟؟

وترى هل ينبغي أن يكون « بعض » هذا الطرف في المدارس الأهلية ، وهي لا تقل عن مدارس الحكومة في عدد طلبتها ، مجرد طالب عيش لا يفقه من أمور التربية شيئاً ، ولا يدري عن طبيعة الطفل قليلاً ولا كثيراً ، ولا يستطيع إلا أن يرسل القول محفوظاً ، فلا عقلاً يكون ، ولا شخصية يبني ، ولا خلقاً يفرس ، ولا نظاماً يصون^(٢) ؟؟

٢ - أسباب :

تلك حقائق مرة لها خطورتها الكبرى في عملية التربية كما قلنا ، وهناك من الحقائق غيرها مالا يتسع المجال لذكره أو مالا يليق به أن يذكر !! ، ولما كانت التربية الصحيحة شيئاً آخر غير حشو العقول بالكتابة والقول ، وتنفيذ القلوب بالجود والياس ، وتشويه الشخصية بالجهل والحق ، فمن الخير أن نتلمس بعض أسباب هذه الحقائق علنا نستطيع أن نجد لها علاجاً .

أتعرف ماذا هو عمل المعلم في المدارس الثانوية على وجه الخصوص ؟ أتعرف أنه دروسٌ مختصر ، وحصصٌ تدريس ، وكراسات تصحح ، ثم أعمال إدارية أو كتابية بضيضة بملأ فيها الأستاذ الكشوف بالأرقام المجموعة وغير المجموعة ، ثم ينقلها إلى كشف آخر وكشوف أخرى ، ثم يبعث بها ثلاث مرات في العام إلى أولياء الأمور كما لو كان كاتباً يسجل ويجمع ويكتب كل شيء حتى العنوان ؟؟

ثم أتعلم ماهو قدره في عين الدولة والمجتمع بعد كل هذا العناء الذي يبذله ليل نهار ، ومع خطورة وشرف المهنة التي ينسب إليها ؟؟

(١) وقد بدأت الوزارة تعمل على إصلاح ذلك الحال باختيار نخبة خاصة من خريجي الجامعة ليتحقوا بالمعهد .. ولكن مما لاشك فيه أن كثيراً من رجال التعليم الحالي لم يتشدوا مهنتهم عن ميل صحيح أو لم يجدوا فيها ما قد يخلق فيهم من الرضاء والارتياح ما يشجعهم على تحمل مشقاتها باسمين والقيام بأعبائها مطمئنين . وحسبك أن تقوم بعمل استفتاء عام كما فعل مرة أحد الزملاء فن تجد جواب الأغلبية الساحقة خارجاً عن دائرة الأسف والسخط والندم والياس . فهل بهذه الروح ينبغي أن يعمل المعلمون ؟ وهل يمثل هذه الروح نستطيع أن نرجو إصلاحاً للأجيال القادمة والحاضرة ؟؟

(٢) لقد رأيت وسمعت من أحوال بعض المدارس الأهلية كل عجب مضحك . وسأفرد مقال الابد الآتي إن شاء الله لهذا الشأن . ولكنني أعترف هنا أن قليلاً من حضرات الأساتذة غير الذين في هذه المدارس يبذل من الجهود الحثيصة ما يكشف عن حسن استعداده وقوة خلقه . وحدير بالدولة على أية حال أن تقوم هنا بتصفية سريعة مضبوطة لا لين فيها ولا هوادة ، وأن تدبر بتدر المستطاع عمالاً لا يصلحون لهذا العمل الفنى الدقيق

لعلك تدري أن قدره في عين المجتمع دون قدر رجل العدالة أو رجل الطب بكثير؟ هذا ينطق بالحق وذلك يشي الجسم ، أما هو فإذا يفعل غير إلغاء الدروس ؟ وعسير عليك جداً أن تفهم الناس أن التلميذ قد يفنتنا عن الغاضى^(١) أو الطبيب دون أن يفنى كل من هذين عن الأستاذ . وعسير عليك جداً أن تدخل في الأذهان أن صاحبنا يبني وينشئ أنفساً وعقولاً كما قال أمير الشعراء ثم لعلك تدري أن قدره في عين الدولة كان وما زال دون قدر رجال القضاء وغير رجال القضاء ؟ وأين المسكين من أولئك وهؤلاء ؟ ألم يخطب يوماً أحد الزعماء ليمبر عن جماعة المعلمين بمشار الجدد وسوء الفعل كما لو كانوا جماعة من المالك أو الزراع ؟ ألم يرتفع صوت المعلمين مدوياً طالباً المساواة والانصاف دون أن تستجيب له الحكومات بتلك السرعة وهذه الأريحية التي تستجيب بهما لرجال القضاء أو النيابة أو المحاماة ؟ أولاً ينظر المعلم اليوم إلى زميله بالأمس في الدراسة الثانوية فيجده في مجال القضاء يقفز القفزات ، أو في ميدان الجيش يتناول «العلاوات» ، وهو هو في فناء المدرسة تحضي عليه السنون في الدرجة الواحدة ، وتوسع الهوة المالية والاجتماعية بينه وبين زميله هذين ، إلى حد يخيل إليه أن لا عدل هناك ولا مساواة ، مع أنه يبذل من الجهد ، ويؤدي من الواجب ، مالا يقل قيمة وضرورة وقدراً عن أعمال هذين الذين المميزين ؟^(٢)

قل ما شئت وما لم تشأ في ذنب المعلم وتقصيره ، ولكنك لن تستطيع أن تقول إنه فوق البشر فلا يؤذيه الظلم ولا يعبته الاغفال ... ! ثم أنت تشدد بعد ذلك للتعليم إصلاحاً ! أفلا يليق بك أن تدبر هذا الأمر بنتائج البعيدة والقريبة قبل كل شيء . وبعد كل شيء ؟

محمد حسن ظاظا

مدرس الفلسفة بالمدارس الأميرية

(١) أثبت الإحصاء أن التعليم يذل من الجرائم الكبرى أيما تقليل وصدق المثل القائل إن من أقام مدرسة فقد أغلق سجنًا ، أو القائل إن من هدم ركنًا من أركان الجهالة فقد شيد ركنًا من أركان الوطن !

(٢) وقد بدأ فعلاً تنفيذ «الكادر الجديد للمعلمين» ولكن القوة ما تزال سحيقة بين رجال القانون ورجال التعليم . وما زالت أعرف كثيرين قد مضى عليهم أكثر من العشرين عاماً وهم ما زالوا في الدرجة السادسة ، وما زالت أحد حظ العلم في حماية المدارس مقبواً إلى حد مروع وأعتقد بعد هذا أن كل إصلاح ميتوس مه إذا لم يسوي المعلم وبين غيره من رجال الدولة تسوية عادلة

بين الرافعي والعقاد

للأستاذ محمود محمد شاكر

— ٢ —

—♦♦♦♦—

نقل الأستاذ الأدب سيد قطب في كلمته الثانية بعض ما تقدمه الرافعي في قصيدة للعقاد في ديوانه بعنوان (غزل فلسفي ؛ فيك من كل شيء) ، وذلك حين يقول في حبيته :

فيك مني ومن الناس ومن كل موجود وموجود تؤام

فقال الأستاذ قطب : فلا يرى الرافعي في هذا البيت الفريد إلا أن يقول : « قلنا فإن (من كل موجود) البق والقمل والنمل والخنافس والوباء والطاعون والمهيسة وزيت الخروع والملح الإنجليزي إلى راوات من مثلها لا تمتد ، أفيسكون هذا كله في حبيب إلا على مذهب العقاد في ذوقه ولغته وفلسفته ؟ »

ثم يعود فيقول : « إن هذا المثال هو « مصداق رأيي في أن الرافعي أديب الدهن لا أديب الطبع ، وأنه تنقصه « العقيدة » التي هي ولادة الطبع أولاً ؛ فأى « طبع » سليم يتجه إلى تفسير بيت غزلي في مرض إعجاب شاعر بحبيته ، واستغراق في شمول شخصيتها بأن « كل موجود » هو البق والقمل والنمل .. الخ » غافلاً عما في هذا الاحساس من « حياة » ! « واستكناؤ » ! لجوهر الشخصية ، و « خيال بارع » تنيره طبيعة فنية ، فبرى في هذه المرأة من متنوع الصفات ومختلف النزعات وشتى الزايا عالمًا كاملاً من كل موجود وموجود

أحد أمرين :

إما أن الرافعي ضيق الاحساس مذاق الطبع بحيث لا ياتفت إلى مثل هذه الالتفات الفنية بالشعور

وإما أنه يدرك هذا الجمال ، ولكنه يتلاعب بالصور الذهنية وحدها ، غافلاً عما أحسّه وأدركه

وهو في الحالة الأولى مسلوب « الطبع » وفي الثانية مسلوب « العقيدة » ! فأيهما يختار له جماعة الأصدقاء

ثم أنتم الأستاذ علينا نعمة تقدمه بأن قال « إن هذا المثال

« يمثل تلاعب الرافعي بالصور الذهنية ، واستغراق طبعه دون على الإحساس الفني »

وقد آثرنا أن ننقل في كلامنا كل هذا لا نبذله ولا نحرفه لنقطع بذلك مادة الشك في صحة النقل من كلام الأستاذ قطب ، وليجتمع للقاري فكره على رأي متصل حين ينظر في أعقاب كلامنا بالتعريف أو الانكار

ونحن حين قرأنا قصيدة العقاد لأول مرة في مجلة القنطف (يناير سنة ١٩٣٣) زعمنا أنها قصيدة مؤلفة من مادة غير مادة الشعر ، وأن النزل الفلسفي الذي فيها حديث يتهاك ، والفلسفة منطق يتهاك ، فهي على ذلك ليست من شعر ولا فلسفة . وهذا هو بديهة الرأي لمن يقرأ هذه القصيدة ويتدبر معانيها ، ويقيسها إلى غرض صاحبها فإنه سماها أول ما سمى « غزلاً فلسفياً » ثم أتبع هذا — وفي رأسها — بما يشبه التفسير لهذا العنوان ، وما يتضمن فخوي القصيدة ، ويحدد مجلة معانيها ، وذلك قوله :

« فيك من كل شيء »

ولسنا الآن بسبيل من نقد القصيدة كلها ، وبيان ما أشرنا إليه قبل في أثنائها وتضاعفها ، وإنما نجريء بالقول في البيت الذي تقدمه الرافعي ، ثم عقب على تقدمه الأستاذ سيد قطب بما شاء له « طبعه » المفتوح غير المغلق ، و « عقيدته » الكاملة غير المسلوقة ، و « خياله البارع » غير المتخلف

وهذا البيت بعينه :

فيك مني ومن الناس ومن كل موجود وموجود تؤام

إنما هو تكرار لقوله في صدر القصيدة : « فيك من كل شيء » حين أراد الشاعر أن يزيده بياناً ووضوحاً ، ويجلوه جلاء المرأة لتصف شخص صاحبته ، أو كما قال الأستاذ القطب (لاستكناه جوهر شخصيتها)

وقد ذهب الرافعي في نقد هذا البيت مذهب العربي حين يسمع الكلام العربي لا ينحرف بالفاظه إلى غير معانيها ، ولا يتسع في معاني الألفاظ بغير دلالة ظاهرة أو مسوغة ضمير ، ولا يقبض من معانيها إلا بمثل ذلك مما يحيز انقباض بعض معاني اللفظ عن سائر . وقد قال العقاد لصاحبته في النزل الفلسفي « فيك من كل شيء » و « فيك من كل موجود » . والعرب

مما هو « في صاحبه » معدداً مبيناً مفصلاً حتى انتهى إلى إجمال المعاني في هذا البيت . فقد قال لها : فيك من الشمس والبدر ، ومن الربيع والشتاء ، ومن غذاء الطير ونوح الخمام ، ومن انسياب الماء ، ومن طبائع الوحش ، ومن حركة الأسماك ، وفيك من جوارح الطير ، ومن النعام ، ومن نار الحياتين ، ومن الموت الزؤام ، ومن نقص الدنيا ، وكال الآخرة ، ومن الملائكة ، ومن الشياطين ، ومن الحجر ، ومن القوت ، ومن الماء ، ومن الجوع ، ومن الأرض ، ومن السماء ، ومن عمل الأيام والدهور ، ومن الهندسة ومن الفن ... ثم

« فيك مني ومن الناس ومن كل موجود وموعد تؤام » !! أفلا يدل هذا على أن الشاعر الفيلسوف كل التفصيل فرعى بالجلّة في (كل شيء) من (موجود وموعد) بعد الذي تمب في بيانه وتفصيله وذكره وتمداده ؟ وأى شيء بقي له لم يعدده من متنوع الصفات ومختلف النزعات وشتى المزايا والعالم الكامل ! إلا هنات هينات كذا وكذا ... وما ذكر الرافى

هذا ... وقد اقتصر الأستاذ على نقل بعض كلام الرافى في نقد هذا البيت ونحن نتمه للقراء بعد ذلك :

« إن ذلك المعنى الذي بنى عليه هذا المسكين غزله الفيلسوف قد مرّ في ذهن أعرابي لم يتعلّم ولم يدرس الفلسفة ، ولا قرأ الشعر الإنجليزى والفرنسى والألسانى والفارسى ، وليس له إلا ذوقه وسليقته وطبيعته الشعرية ، فسعى المعنى تصفية جاءت كأنها تقطر من الفجر على ورق الزهر بقوله :

فلو كنت ماء كنت ماء غمامة ولو كنت درّاً كنت من درة بكر
ولو كنت لهواً كنت تمايل ساعة

ولو كنت نوماً كنت إغفاءة الفجر
ولو كنت ليلاً كنت قراءاً جُنَّبت

نحوس ليالى الشهر ، أو ليلة القدر (ولو كنت كنت) هذا أبدع عنوان لأجل قصيدة في فلسفة الفزل . وانظر كيف جعل الأعرابي حبيته أصنى شيء ، وأعلى شيء ، وأسعد شيء ، وكيف صورها شعراً للشعر نفسه . ثم قابل هذا الذوق المصنّى بذوق من يجمل حبيته من كل شيء ، ومن كل موجود وموعد تؤاماً وزؤاماً وبلاءً عاماً » انتهى كلام الرافى

والفلاسفة جميعاً يزعمون أن لفظ (كل) إذا دخل على النكرة أوجب عموم أفرادها على سبيل الشمول دون التكرار . فكذلك أوجب الشاعر على صاحبه أن يشمل (جوهر شخصيتها) جزءاً من كل ما يمكن أن يسمى (شيئاً) ، ومن كل ما يسوغ أن يسمى (موجوداً وموعداً) . وهذا الاطلاق من (فيلسوف يتنزل) يقتضى شمول الأفراد من (كل شيء) ، ومن (كل موجود) . وليس يشك أحد — ممن لم يسلبهم الله « الطبع » و « العقيدة » ولم يحرمهم « الخيال البارع » — في أن ما ذكره الرافى في كلامه — من البق إلى الملح الإنجليزى — شيء من الأشياء وموجود من الموجودات . والفيلسوف حين يتنزل أن يريد هذا بغير شك ، ولكن أين تذهب بمعنى اللفظ (كل) في العربية ؟ وفي حدود الألفاظ التي تدور على ألسنة الفلاسفة ؟ وأى دلالة توجب قبض معنى الشمول من هذا اللفظ ؟ أو أى مُسَوِّغ يميز الحد من الاحاطة التي يقتضيها هذا الحرف في مجرى قول الشاعر « فيك من كل شيء » وفيك « من كل موجود » ؟ !

هذا بعض القول في فساد ألفاظ هذا البيت ، وبطلان معنى الفلسفة فيه . ولا بغوتى في هذا الوضع أن أدل على موضع الضعف في فهم الأستاذ قطب لكلام الرافى . فالرافى يقول : « قلنا ، فإن من — كل موجود — البق ... الخ » ، والأستاذ الأديب البارع يقول وكأنه يشرح معنى الرافى : « فأى طبع سليم يتجه إلى تفسير بيت غزلى ... بأن « كل موجود » هو البق والقمل ... الخ » ؟ غافلاً عما في هذا الإحساس من « حياة » و « خيال بارع » ، تشيره طبيعة فنية ، فيرى في هذه المرأة من متنوع الصفات وشتى المزايا عالماً كاملاً من كل موجود وموعد . والرافى رحمه الله لم يقل إن (كل موجود) هو البق ... الخ ، وإنما قال إن من (كل موجود) ، أى من أفراد الموجودات ما يسمى بقا ... الخ ، فالحرف (من) في كلام الرافى ليس هو الحرف (من) الذي في شعر العقاد حتى يجوز ما ذهب إليه الأستاذ قطب بما ساء من تعليقه

وقد أطلت القول في تقرير نقد نوحى بصحته سلامة الفطرة ، وحسن الذوق ، وصفاء القرينة ، وبوجبه اصطلاح المنطق ، وحد الكلام ، وإتقان الفلسفة ، وبقتضيه ما ذهب الشاعر يسرده

فإن شئت أن تعرف كيف يتناول الشعراء هذا المعنى المنقول من الشعر « فيك من كل شيء » فانظر حيث يقول جرير ، وهو فيما نعلم أول من افنتحه :

ما استوصف الناس (من شيء) يروقههم
إلا أرى أم عمر فوق ما وصّوا
كأنها مزرعة غراء واضحة أودرة لا يوارى ضوءها الصدف
وقد أحسن جرير تحديد المعنى وتجريده من اللغو (من شيء يروقههم) وجعل في صاحبه من ألوان الجمال ما تهفو إليه نفوس الناس على اختلاف أذواقهم وتباين أنظارهم . وكأن أبا نواس نظر إلى هذا المعنى حين قال :

لك وجه محاسن الخلق فيه مائلا تدعو إليه القلوب
على أن جرير آ قد ناقض وأحال وأفسد ما استصلح من شعره حين رجع فقال في البيت الذي يليه : « كأنها مزرعة ... أودرة » فإن هذا الحرف (كأن) للتشبيه ، والتشبيه يدعى قصور المشبه عن المشبه به ، وهو قد ادعى أنه يرى صاحبه فوق ما يصف الناس (من شيء) يروقههم أو يروعههم أو يفتنهم

ثم جاء مسلم بن الوليد بمقرب جرير يقول :
مثالها زهرة الدنيا مصورة في أحسن الناس إدباراً وإقبالاً
استودع العين منها كلما برزت وجهها من الحسن لا تاتي له بالا
فالعين ليست ترى شيئاً نسر به حتى تربي لما استودعت تماثلاً
ففارق مسلم جريراً حيث جعل صاحبه (زهرة الدنيا مصورة) أي محاسنها وتهاويل جمالها ، وأنه يجد عندها تماثلاً لكل حسن نسر به العين

ثم جاء أبو نواس فألبس الشعر والمعنى من توليده وحسن مأخذه ولطف عبارته فقال :

لها من الظرف والحسن زائد يتجدد
فكل حُسن بديع من حُسنها يتولد
ثم جاء أبو تمام فقصر ، ولم يحسن اختيار اللفظ ، وأضعف روح الشعر فيه فقال :

أنظر ذا عاينت في غيره من حسن فهو له كاه
وتناوله البحري ، فزاد فيه معنى ، ولم يجوز نسجه فقال :

وأهيف مأخوذ من النفس شكه ترى العين ما تحتاج أجمع فيه
فالزيادة في قوله « مأخوذ من النفس شكه » وهي جملة لولا شناعة قوله (مأخوذ) ، ولو عدل فيها إلى مثل نهجه في صفة الخمر أفرغت في الزجاج من كل قلب فهى محبوبة إلى كل نفس لأجاد وبدء من سبقه . وقد فطن ابن الروي إلى معنى البحري فآخذ لنفسه وسبق حين قال :

وفيك أحسن ما تسمو النفوس له فأين يرغب عنك السمع والبصر —
وقد قصر ابن الروي في الشطر الأول عن المعنى الذي أراد به البحري ، ولكنه جاوز البحري ورى به خلفه في مقابلة قوله (ترى العين ما تحتاج أجمع فيه) بما قال (فأين يرغب عنك السمع والبصر)

ثم أدار ابن الروي هذا المعنى ونفّله من سواء حين قال :
لا شيء إلا وفيه أحسنه فالعين منه إليه تنقل
فوائد العين منه طارفة كأنما أخرياته الأول
ولقد كنت أتعجب لبيت المقاد كيف نزل مع كل هذا
الشعر ، وكيف خفي عنه موضع التقييد من مثل قول جرير « من شيء يروقههم » ، وقول مسلم (زهرة الدنيا) و « شيئاً نسر به » وما إلى ذلك ، ووجهه مع سائر القصيدة فلم يزل يختار ناقصاً معوجاً لا يستوي . وزادني عجباً قوله في نهاية الشعر (تؤام) ، ولم أجد للفظ معنى ولا رأيت له وجهاً يتوجه مع مقاصد الغزل الفلسفي حتى وقعت لي أبيات ابن الروي فإذا قوله (تؤام) ترجمة للفظ آخر هي لفظ (ممّا) في قول ابن الروي

ينحو إلى هذه المعاني بمينها
فالعين لا تنفك من نظير والقلب لا ينفك من وطير
ومحاسن الأشياء فيك (ممّا) فلا لتيك ملائتي بصري —
مُتَمَاتٌ وجهك في بديتها جدد وفي أعقابها الأخير
فكأن وجهك من تجدده مُتَنَقِّلٌ للعين في صور
وقول ابن الروي (ومحاسن الأشياء فيك ممّا) هو عمل الشعر في معنى غسيل قدم به المقاد لقصيدة غزل فلسفي وهو قوله : « فيك من كل شيء »

ورحم الله الصولي الذي يقول :

بين الأديب وبين الناس

للآنسة فلك طرزي

(مهادة إلى الأستاذ توفيق الحكيم)

سيدى الفاضل صاحب الرسالة الفراء :

القطعة الأدبية التي أبعث بها اليوم إليك لتنشر على صفحات مجلتك الراقية ، استوحيتها من السلسلة الأدبية الأولى التي ينشرها تباعاً الأستاذ توفيق الحكيم فى الرسالة تحت عنوان « من رجنا العاجى »

وقد كتبها يوم كنت فى حلوان أنعم بجو هذه المدينة الساحرة وأنفس عن صدري بنشق أريج النسيم المعطر بعبير الزهر المتدلية عناقيده وبقائه فى روضات حدائقها النضرة ، فأشعر بأثر الصحة يتغلغل بين جوانب هذا الصدر قوياً حاراً يبعث فيه السرور والهجة والنشاط . ولا أغرو فان أسعد أيام حياتى الدانية هى تلك التى قضيتها على شاطئ وحددة هذه المدينة الفاتنة تحت بواسق نخيلها وفى ظل صمتها وسكونها

كتبها يومئذ ثم حالت شواغلي دون نشرها فطويتها بين أوراق إلى أن عثرت عليها اليوم بينما كنت أقلب فى هذه الأوراق ، فرأيت أن أرسلها إليك لتنشرها فى « رسالة » الفن السالى والأدب الصادق الحى ، ولو أن نشرها سيجيء متأخراً

لو علم الناس كيف يعيش كل أديب أو مفكر فى هذا الوجود ، ولو علموا نوع الحياة التى يقضيها هذا الأديب أو ذاك المفكر مرتبكاً حائراً بين متناقضات تتركب منها نفسه ، لكفوا عن توجيه اللام إليه ، ولاقتصروا عن نمته بمختلف النعموت والصفات التى لا تنطبق ألبتة على حقيقة مكنة بالقرار أن نفسه غير نفوسهم ، وأن إحساسه لأبعد غوراً وأعماق نفاذاً من إحساسهم ؛ ولكن يظهر أن الحياة التى منحهم إياها القدر حين شيعهم إلى باب الوجود قاتلاً لهم : اذهبوا فان لكم الحياة ولكن ... قد غشت أبصارهم بمشاورة الجهل فلم يدركوا مغزى « لكن » هذه التى يخفى باطنها وبهم على معان كثيرة فاتهم إدراكها ، كما فاتهم أيضاً رؤية البسمة الساخرة التى ارتسمت على ثغره الممازى التهمك ساعة شيعهم إلى باب الوجود ، فما علموا أن القدر منحهم أشياء وسلبهم شيئاً هو أعظم أشياء الدنيا

أعرفُ منها شيئاً فى كلِّ مئىء حسن

فقد أتى بالمدنى عامياً لطيفاً مجتهداً غير صانع ، وهو على ذلك أرق من فيك منى ومن الناس ...

فهذا مذهب الشعر من لدن جرير إلى يومنا هذا ولم نستقصه فى غرض واحد من أغراضه ، وذلك مذهب العربية فى معانى ألفاظها ، وسبيل الفلاسفة فى تحديد معانيها ، وفى ثلاثها قصر بيت المقاد وفسد واستحال . هناء وتها لك منطق . فمن أين يمكن وصف الراقى — إذا نقد هذا البيت — بأحد أمرى الأستاذ قطب : إما أن يكون ضيق الاحساس منطلق الطبع بحيث لا يلتفت هذه اللفتات الغنية بالشعور ... (وأين وأنى وكيف نجددها يا أستاذ الأستاذين ؟) وإما أنه يدرك هذا الجمال ولكنه يتلاعب بالصور الذهنية وحدها ، غافلاً عما أحسه وأدركه ... وما ندرى كيف كان يحسه الراقى رحمه الله ؟

أ كان يحسه ويدركه بقوة الجوع والعطش فى البيت الذى يليه وكيف بي أعزل إن أغنيته أنت ، حتى عن شراى والطعام ! وأخيراً ، فقد خير الأستاذ قطب أصدقاء الراقى بين أن يحكموا عليه بأحدى كلمتيه أن يكون رحمة الله عليه مسلوب « الطبع » أو مسلوب « العقيدة » وقد تبين بعد الذى قلنا أن نقد الراقى نقد « محكم » فى سياق العربية ، وفى جوهر الشعر وزيد فنقول إن قارى القصيدة (غزل فلسفى) حين يقرؤها إلى أن ينتهى إلى هذا البيت : « فيك منى ومن الناس ... » لا يجد فيها من « الحياة » ولا من « الخيال » ولا من « غنى الشعور » ولا من « الاحساس الفنى » — إلى آخر ما ينتبل به الأستاذ قطب — ما يجعل نقد هذا البيت بعينه دليلاً على ضيق الاحساس واستفلاق الشعور ، والفلة عن الجمال ، وفساد الانسانية فى قلب ناقد.

وعلى هذا فقد سقط الدليل الأول من أدلة أحكامه على الراقى وبان فى ذلك ما امتاز به الراقى من الدقة وصدق الاحساس فى إدراك معانى الشعر وما فيه من غضارة ورؤفة وجمال

محرم محمد شاكر

وأغلاها قيمة ! وما دروا أن القدر حرمهم نعمة لا يباع قتها العالية سوى من ذاق مرارة الألم التي يولدها الفكر والاحساس ، ومن شعر بقلبه يهتز بين جنبيه محتاجاً حائراً بين إحساس وإحساس وبين فكرة وفكرة

غير أن « لكن » ثابتة كما قلت يا سيدي قد نطق بها القدر أيضاً حين دفع بالأدباء والمفكرين إلى الوجود وأرققها بصيغة ألغائها في وجوههم قائلاً : « إذهبوا فإن لكم الفكر ولكن .. » قبلت « لكن » هذه من شدة دويها مبلغاً جعلهم شديدي الانصات إليها ، حريصين على ألا يفوتهم سماع الصدى الهائل الذي ينبعث من انفجاره في أنفسهم ، فينتجج فيها من جراء هذا الانفجار منائد وأبواب على العالم الغامض ، لينتابع على صفحات هذه النفوس كل صورة ومشهد من صوره ومشاهده ، وكل

ما يحوى من حقائق صرة لاذعة ، وخيالات جميلة عذاب ولا إخال الجماعة الذين أدركوا معنى « لكن » هذه وسبروا غورها العميق فمروا أن باطنها يحوى متاعاً من الحياة قد سلهم إياها الفكر والشعور لينجهم نعمة الشفاء ولذة الألم — قد يحسدون يوماً من الأيام بقية الناس الذين نعموا بالحياة وبكل ما تحويه الحياة وحرروا نعمة واحدة هي أسنى النعم وأرفع الذوات وأعنى بها نعمة الشعور الذي يولد التفكير الصحيح

وإذا حملهم أحياناً فيض شعورهم لشدة ما ينتابهم من جرائه على حسد أولئك ، فإن هذا الحسد لا يدوم إلا لحظات ، ولا يطول أكثر من فترات . ذلك لأن « النوع » الرفيع العالى الذى يطبع سمادة جماعة الفكر والأدب بطابعه السحرى ، لا يستطيع غيرهم من الناس إدراك كنهه العميق وليس بوسعهم بلوغ قته العليا

وهل بإمكان البواعث التي يسعد بها الناس أن تبث في نفس الأديب أو المفكر أياً سمادة ما ؟ وهل تسر هذا الأديب أو ذاك المفكر نفس السرات التي يفتط بها بقية الناس ؟

قد تسعد الأديب ذات البواعث التي تسعد الناس ، وقد تسره الأسباب التي تسرم ، غير أن ما يميزه عنهم ويجعل فروقاً بين سعادته وسعادتهم وسروره وسرورهم هو ما يمكن أن تخلفه هذه السمادة وذاك السرور في نفسه من عميق الأثر وما قد ينتج عن

هذا الأثر من معان وفكر قد تحولها — أى السعادة والسرور — إلى عكسهما بعد أن يخضعهما الأدب إلى قوانين التحليل والتدقيق ولكم سخر أدباء من سمادة كثير من الناس وفضلوا عليها شقاوتهم وحيرتهم ! ولكم لأم المفكرون ونقدوا أساليب ووسائل يستعين بها أشخاص لبلوغ أمنية السمادة المنشودة دون التفريق بين أسلوب وأسلوب والتدقيق بين وسيلة ووسيلة !

فاذا كان الفكر الانساني قد حكم على كل مفكر وأديب أن يحبس نفسه في مقر ذاته العميق ، وأن يرسل نبرات صوته بين أرجاء السكون الذي يعلو هذا المقر ، ثم لا يسمع غير صدى هذه النبرات !

وإذا كان قد قضى عليه أن يعيش في تلك الزلزلة الموحشة عزلة نفسه التي يحرسها « تنين » الوحدة ، فمراؤه عما فاته من متع الحياة أنه يصنى في كل لحظة من لحظات عمره القصير بمدد السنين المديد بمقدار الدقائق إلى كل همسة من همسات ضميره ونفسه ، وينصت إلى كل نعمة من نقات الحياة التي لا تنفك أو تار قلبه تمزقها على قيثارة الفلوع

فلتغنن إذن بين جدران أنفسنا الشاهقة ، وانرسل ألحان هذه الأغاني موسيقى نحوى أنغام الحياة على أنواعها فتتحول عند سقوطها في القاع — قاع أنفسنا — صوتاً قوياً تنبعث منه نبرات الحياة حارة بليغة

فلك طرزي

« دمشق »

حسين فوزي

سندباد عَصْرِي

في اثر ابن ماجد وابن بطوطة
في أثر فاسكون اجاما وماركو بولو

جولات في المحيط الهندي

أطلبه من المكتاب الشهيرة . الثمن ١٢ قرشاً

بين العقاد والرافعي للاستاذ سيد قطب

كنت قد أعددت هذه الكلمة قبل أن أقرأ كلمة الأستاذ سعيد الريان الأخيرة ، ومقدمته لها . فلما قرأتها لم أجد أن أغير في كلتي شيئاً ...

وبني أن الأستاذ يقول عما كتبت : « ومع ذلك فإن ما أتى به من النقد ليس بشيء عندنا » . فانت كان يعني في الحكم أن يقول الإنسان حكماً فيكون ذلك قضاء ، فانتا — على طريقته — لا تتكلف أكثر من حذف أداة النقي فنقول : هو « (بشيء) عندنا » وبذلك تنتهي !

وبني أنه عرض بي في ثانياً مقاله بعد ما تخلي عن الرد وقال إنه مؤرخ .. تمرىضا غير لائق . فأمثلي بمن يحتاج لمن يفهمه أدب الرافعي وليس فيه شيء لثلي غير مفهوم ، وما هو بصاحب طريقة في الفكر والفن ، إنما هو صاحب طريقة في التعبير ، وأنا أحد الاختصاصيين في اللغة التي يعبر بها

على أن هناك ما يضح حذاً للجدل . أليس الأستاذ سعيد الريان يفهمه ؟ . بلى . فأنا إذن من باب أول أفهمه .

سيد قطب

— ٣ —

—>>><<<—

حين قال الأستاذ سعيد الريان عن نقد الرافعي لرحى الأربعين : إنه بلغ فيه ذروته ، وجمع كل فنونه ، كان صادقاً في قوله ، وكنت مخطئاً في الاعتراض عليه ، كما انتضح لي الرأي في هذا الأسبوع الأخير !

وحين قلت : إن الرافعي أديب « الدهن » لأديب « الطبع » وأنه ينقصه « القلب » المهيأ للحب ، وأنه لا يمتيه إلا أن يصور الحقائق الوقتية الصغيرة في صورة خلاصة ، لم يكن هذا المعنى واضحاً محددآ في ذهني كما انتضح في هذا الأسبوع الأخير !

وحين ذكرت أن الرافعي ذكي ، قوى الدهن ، كنت متساعماً جد التسامح أو مبالغاً جد المبالغة ، ولم أعلم ذلك . علم الأسبوع الأخير ! وإليك البيان ...

حيناً أمسكت بالقلم لأكتب الكلمة الأولى بهذا العنوان ، كان في ذهني ونفسي صدى مطالعاني القديمة للرافعي ، وهو صدى غامض يدل على الجملة ، ولا يعد الناقد بالتفصيل .

وحينما كتبت الكلمة الثانية ، لم يكن بين يدي إلا نقد لرحى الأربعين ، فأبدت رأيي فيه كما رأي قراء الرسالة

ولكنني حين رحت أتلس الأمثلة من بعض كتب الرافعي وأخترت أن أبدأ « رسائل الأحران » ، اصطدمت بالرافعي من جديد ، واختلف الصدى الغامض القديم ، عن الصوت الواضح الجديد . (أحسست صدق الأستاذ سعيد في نفعه لنقد وحي الأربعين ، فإنه — على ما به — في الندوة من نتاج الرافعي كله كما قال !

وأحسست أنني أخطأت في عدم تحديد « الدهن » الذي قلت إن الرافعي يصدر عنه في أدبه ، فن الدهن ما هو سليم أو مريض ، وما هو مشرق أو غابر ، وما هو متفتح أو مغلق ... إلى ما لا نهاية له من ألوان الأذهان !

وأحسست أنني خدعت في « قياس ذكاء » الرافعي ، ومعرفة طبيعته ودرجته ، حتى ردتني إلى القياس الصحيح « رسائل الأحران » ! وإني لأحس بالفضاضة في هذا التراجع ، فيميزني عنه « الصدق » الذي أعبر عنه حين أنصت لاحتسامي وأمسور حقيقة رأيي .

الرافعي أديب الدهن ، ولكنه الدهن الملتوى المماثل المداحل الذي لا يستطيع أن يسلك أقرب طريق إلى ما يريد ، بل يتخذ الدروب والنحنات ، ويلتف حول نفسه ، ويمصر نفسه ، مرة ومرة ، قبل أن يصل إلى الحقيقة الهينة الصغيرة ، التي تعثر بها الأذهان المستقيمة مدى ذراع .

والرافعي يصدر في أدبه عن ذكاء ، ولكنه ذكاء اللوحة والومضة ، لا ذكاء الاشراف والصفاء . الذكاء الذي يخبط بجناحه هنا ، ويخبط بجناحه هناك ، فيبني للناظر أنه يرفرف ويطيير ، والواقع أنه مكب على الثرى ، وما هي إلا خفقات الجناح

والرافعي في رسائل أحرانه يتراءى كأنما يتمطى في أغلال ، أو يتزى في وفاق ، يحاول أن يتفلت من هذا وتلك ، وهو يُنفذ رأسه ويضرب بقدميه ، ويضرس أنيابه ، في حركات عصبية ، ليخلق اللفظة بعد اللفظة ، والجملة بعد الجملة ، والخطاطرة بعد الخطاطرة ، في جهد وعناء !

وإنك لتسأل بعد قراءتها : أهذه رسائل حب ؟ أو ذكرى حب ؟ وأنت خليق أن تعتقد فيها الإنسان قبل الفنان

إسمع قصيدة صدر بها أحد كتبه ولا شك أنه ممجّب بها ،
إسمع الشعر الذي يعجب من ينقد شعر العقاد في الحب :

من لمحب ومن يعينه ؟ والحب أهناه حزينه
أما ما عرفت سوى قسا وته فقولوا كيف ليته
إن يقض دين ذوى الهوى فأما الذي بقيت ديونه
قلبي هو الذهب الكر يم فلا يفارقه رنينه
قلبي هو الألباس بعد رف من أشمته ثمينه
قلبي يحب وإعسا أخلاقه فيه ودينه

فهذا الشاعر الذي ينقد شعر العقاد في الحب ، هو الذي
يعجبه ما يقلد من شعراء الدول المتتامة والماليك في مصر ،
وشعراء أواخر العهد العباسي فنسمع رنين شعرهم في :

« إن يقض دين ذوى الهوى فأما الذي بقيت ديونه »
يعجبه هذا الذي لا يرتفع مستواه الفنى على أن يذكر
« قلبه » في سوق « المجوهرات » من الذهب والألباس ، معتقداً
أن تلك « المعادن » أثنى من « القلوب » لأنها تقوّم بالمال
الكثير في السوق

وما عن نهكم أصدر في هذا التعبير ، فهي حقيقة تبرزها
الأمثلة الكثيرة في « الرسائل » وسيأتى هذا في موضعه
أما القصيدة بعد هذا نخطبة متبرية ، لا تعرف إن كان
صاحبها محباً حياً يثير الحب في نفسه وأعصابه دفعات الحب ،
ويبه خواجه وخواطره ، ويعمق إحساسه بالحياة ، ويضاعف
شموره ، أم إنه واعظ يدعو في جفاف وجفوة إلى « عدم الاعتداء
على الأعراض » بأسلوب لا يتصل بالقلوب ، كمظم خطباء
المساجد في هذه الأيام :

يا من يحب حبيبته وبطنه أسمى يهينه
ونعم منه ظواهر لكنه نجس يقينه
كالقبر غطته الزهو ر وتحت عفن دفينه
ماذا يكون هواك لو كل الذي تهوى بكونه
دع في ظنونك موصفاً إن الحبيب له ظنونه
وحذ الجليل لكي تربى الحسن فيه بمازنيه

إن تغلب لص العفا فلن تحب فن أمينه
الح... الخ
ولعل أصدقاء الرافعي في نشوة حين يطالعهم بهذه الصورة
الذهنية :

كالقبر غطته الزهو ر وتحت عفن دفينه
ولكن أين هذا أيها « الأحياء » في عالم الحب الحى ، وإن
هو إلا « اللب على الجبل » في هذا الميدان ؟

نم ماذا ؟ ثم اسمع الشاعر الذي لا يعجبه شعر العقاد في الحب :
حسنا خالقها أم جلالها سألته معجزة الهوى فأملها
لما حبها الله جل جلاله بالحسن منفرداً أجل جلالها
تضنى المحب كأنما أجفانها ألفت عليه فتورها وملامها
هيفاء قد شب النسيم قوامها غصناً فإن خطر النسيم أمالها
سبالة الأعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها
هكذا نعود إلى شعراء الدول المتتامة في التكلف والمغنى
الطروقة التي يباع كل عشرة منها بقرش في هذه الأيام ، ولا عن
عن « الأجفان التي تاتي على الحب فتورها وملامها » ، ولا عن
« النسيم الأعمى أو الأعم أو الثقليل الحس الذي يحسب المحبوبة
غصناً ، لماء أو صمم أو ثقل حسه ، فيميلها عند صروحه !

وهكذا لا ندخل أبداً في زجة الحياة وتياراتها ، ولا نحس
الحياة في خالجة أو خاطرة ، ولا « نعيش » في هذا الحب عيشة
الأحياء الذين يتأثرون بحسهم وأعصابهم وخواجهم بجانب
أذهانهم ، أو حتى الأحياء الذين تلتفت أذهانهم وحدها إلى صور
الحياة وأشكالها ، ودوافعها وأمواجها ولو لم يندمجوا فيها ،
ويتأثروا بها !

ولكن لا ، فقد كسبتنا التفاته ذهنية رخيصة ، لا يل التفاته
عرفية أو كلامية ، فإن هذه الجببية لما « انفردت » فكانت لها
صفة « الوجدانية » في الحسن « أجل جلالها » الله « جل جلاله »
فليلق بالهم إلى ذلك علماء « الكلام » ، فاكذب إلا لهم
وحتى لا تفهم أن الشاعر قديم ، اقرأ التجديد الذي تندق
دونه الأعناق !

سبالة الأعطاف أين ترنحت تطلق لكهربة الهوى سيالها
أبعد « الكهرباء » وهى آخر ما كشف من قوى الطبيعة
قولة لقائل من المجددين الذين ينقد الرافعي النقد الشديد ؟

التصور من ألوان الامتياز الوجداني في هذا الأعرابي
ولكن صاحبنا لا يرى في هذا إلا أن « الشمس على حائطها
كالشمس على البلور الصافي ، لا على الحجر والمدر »
فدار الجلال إذن هو نفاسة ما تطلع عليه الشمس ونعنه
في السوق ، ولا شك أن البلور أغلى من الحجر والمدر !
ولله هو أو أحداً من أصدقائه لا يستطيع أن يصدق أن
الشمس على « الحجر والمدر » الرخيصين أجل ؛ أو على الأقل
قد تكون في وضعٍ ما أجل من الشمس على « البلور » الغالي
الثنى ، وذلك عند « الطبع » الحى ، الذى يعيش في الحياة الرحبة ،
لا في سوق المجوهرات !

واسمع ... في رسالة أخرى :
« ثم يجرى كلامه فيها شعراً خالداً مطرداً كنهر الكوثر في
رياض الجنة ، حافته من ذهب ، ويجراه على الدر والياقوت »
أرأيت ؟ الذهب والدر والياقوت !
ولا يتشكك صاحبنا في أن النهر الذى حافته من ذهب
ومجراه على الدر والياقوت أجل من النهر الذى حافته من المشب
الأخضر ، ومجراه على الرمل والطين .
لا يلتفت إلى أن الأول مصنوع قد يبهج العين لحظة ثم
لا تحس وراءه حياة ، ولا معنى أعمق من ظاهره ، فتمله النفس ؛
أما الثانى فهو لا يأخذ « الدين » بالبريق والوهج ، ولكنه بعلامة
« النفس » بالروعة والجمال ، ويتيح لها التأمل العميق في الطبيعة ،
والاندماج بين الحياة الجارية في النهر والحياة الجارية في النفس ،
لقرب النشأة والتكوين
لا لا . قالمهم هو البريق الذى يخلب الحس ، والأهم هو
« السر » القدر للياقوت والطين . وشتان شتان !

وبعد فقد كان في هذه الأمثلة الكفاية لتوضيح نظرتى
في الرافى والبرهان عليها ، وكل مثال يبنى عن سواه . وقد
تعمدت أن أختارها من اللغات الصغيرة الخاطفة ، ومما يستجد
عند مدرسته ، وهى أدل على طبيعة الذكر ومعدن الذهب
ولكن لدى أمثلة في نهج آخر يؤدى إلى النتيجة نفسها ،
وموعدى مع قراء الرسالة في ذلك كلمة أخرى بعد أن طال
هذا المقال

سير قطب

(حلوان)

فن يكن في شك أو ظل من شك فليقرأ ، ليعرف أنها لم
تكن خطرة عابرة في التجديد ، وإنما هى عن تعمد وسبق إصرار
بانجمة أنا في أفلاكها قمر من جذبها إلى قد أضللت أفلاكى
هناك الكهرباء ، وهنا الجاذبية ، أبعد هذا يكون شك أو ظل
من الشك ؛ لا . وألف مرة لا !
ولا شئ وراء هذا البعث الذى لا يريد له نقاشاً وإن كان فيه
— لو شئت سلوك طريقة الرافى في النقد — مجال لمشرات
الغمزات والتهكمات

وقد قلت لك : إن الرافى يبالغ « بالمجوهرات » فاسمع :
يقول للصديق المفروض أن هذه الرسائل تكتب إليه . إنه
سيقص له قصة حبه لا بالترتيب
« فإن هذا مما يحسن في تاريخ صخرة تتدحرج ، أما أنا
فسأقدم لك تاريخ أوّلوة فريدة »

ولست أدري الفرق لدى الفنان « الحى » بين أن يقص
تاريخ صخرة وتاريخ أوّلوة إلا أن يكون « الثمن » هو الفارق بينهما .
أنهم أن يقول : « إن هذا مما يحسن في تاريخ صخرة ، أما
أنا فسأقدم لك قصة حياة . أو قصة بنية حية يدخل في تأليفها
ودوافعها شئ غير الزمان والمكان ، هو الحس والشعور . أو تاريخ
نبته تنمو من داخلها أكثر مما تنمو في خارجها » أو أى تعبير
آخر يدل على أن القائل يستشعر الحياة في أعماقها ، أو ظواهرها
على الأقل ، ويرى « القلب » شيئاً حياً ، جماله في حياته ، وإن
لم يقوم في سوق المجوهرات بمشر ماسة أو قطعة صغيرة من
الذهب ! ثم اسمع : يقول في إحدى الرسائل : « أما سمعت
بذلك الأعرابي الذى قيل له : ما بلغ من حبك لفلانة ؟ »
فقال : والله إنى لأرى الشمس على حائطها أحسن منها على
حيطان جيرانها ... ، قد والله صدق وبرت عينه « فإن في كنهه
الشعرية لأثر من « عينيه » ، إذ يرى الشمس على حائطها
كالشمس على « البلور الصافي » لا على الحجر والمدر »

إن الأعرابي ليرتفع إلى الدروة الفنية في قوله الساذجة ،
ويجئ إليك الحياة المشرقة في « ضميره » ، — لا عينيه
وحدها — وهو ينظر إلى الشمس على حائط حبيته ويكشف
عن « الخصومية » الدقيقة التى ترى « شمس حبيته » وكأنها
خلقة خاصة بها لا يشاركها فيها سواها ... الخ ما يتسع له

ليلي المريضة في العراق

للدكتور زكي مبارك

- ١٨ -

- كان فضيلة الشيخ دعاس الميسوي والد عبد الحسيب يقيم بالزمالك ، أعنى في بولاق
- ما هذا الخلط يا ظمياء ؟
- كنا نفهم أنه يقيم بالزمالك ، ثم عرفنا أنه يقيم في بولاق ، وقد فهمنا أن سكان بولاق يحبون أن يسموا محلهم زمالك
- شيء غريب !
- وما وجه الغرابة في ذلك ؟ إن بولاق تشرف على النيل كما تشرف عليه الزمالك
- ولكن بولاق في الضفة الشرقية ، والزمالك في الضفة الغربية ، فبولاق شرق ، والزمالك غرب ، والشرق والغرب لا يلتقيان
- إيش لون ؟
- هذه معان لا يفهمها غير الفلاسفة يا ظمياء
- وكنت أذهب في صحبة ليلي إلى منزل الشيخ دعاس الميسوي ، وكان شيخاً يقارب الستين ، ولكنه كان أعجوبة الأعاجيب في متازلة النساء . كان يصوب بصره إلى ليلي ويقول : « يا بنت يا كهرواء » وكانت ليلي تراح لهذا الوصف الطريف . ولعلها كانت تود لو سمحت هذه العبارة الطريفة من عبد الحسيب ، وكانت السيدة نجلاء ...
- هل تعرفين شيئاً من تاريخ نجلاء ؟
- أعرف كل شيء : كانت فتاة خفيفة الروح عرفها الشيخ دعاس وهو يصطاف في لبنان قبل الحرب بأعوام طوال ، فتزوجها ونسى من أجلها زوجته وأبناءه في (تيمون)
- وهي أم عبد الحسيب ؟
- بالتأكيد ، وغناها ورث خضرة الميتين
- فهمت ، هاتي بتمية الحديث

- وكانت ليلي ترفض الجلوس على المائدة مع الشيخ دعاس وابنه عبد الحسيب ، ثم استأنست بعد حين ، فقد اطأنت إلى شرف القلوب في ذلك البيت . وكان فضيلة الشيخ دعاس يتناول على المائدة دواء كُفيت اللون يصلح الأمعاء . وكان هذا الدواء يُحفظ في صوان خاص ويُقدَّم إليه في الغداء والعشاء . وفي ظهر يوم طُرق الباب وأعلن الخادم قدوم الشيخ الزنكلوني فأمرت ربة البيت وأخفت زجاجة الدواء . ودخل الشيخ الزنكلوني فرأى أبناء رجلاً عليلًا وعجبتا كيف يبخل عليه الشيخ دعاس بقطرة من الدواء الذي يصلح الأمعاء
- عمن تلقيت دروس اللوم يا ظمياء ؟
- تلقيتها عن طبيب مصري يقيم في بنداد
- وأين عيادة هذا الطبيب ؟
- هو طبيب بلا عيادة ، على وزن وزير بلا وزارة
- فهمت . ويسرني أن يكون تلاميذى جميعاً أذكباء . وماذا صنع الشيخ الزنكلوني حين رأى ليلي ؟
- قبل جبينها وقال : أنت دوية ؟ فلما عرف أنها فتاة من العراق قبل جبينها مرة ثانية وقال : أنا أحب العراق ونسألم العراق وجميع ما يرد من وطن أبي حنيفة الزمان . إسمى يا بيتي ، أنا من الشافية ، ولكنني أستظرف الحنفية
- وهنا تدخل الشيخ دعاس فقال : ولكن أبو حنيفة كان يبيع التبذ
- فثار الشيخ الزنكلوني وقال : هذه دسياسة مذهبية ، فإباح أبو حنيفة التبذ ، وإنما إباح العرقسوس وتشجعت ليلي فقالت : رحم الله أبا حنيفة فقد كان يعرف أن العرقسوس يصلح الأمعاء
- وكانت أول مرة فهم فيها الشيخ دعاس أن ليلي لم تكن من النافلات
- ثم دعانا الشيخ الزنكلوني لزيارة منزله في حارة أم الغلام
- وزارته ليلي هناك ؟
- وعدت . ثم أخلفت ، فقد رابها نظرف المشايخ
- ضيغم فرصة ثينة يا ظمياء . فإ الشيخ الزنكلوني منتظراً وإنما هو ظريف
- سنزوره حين نرجع إلى مصر يا مولاي

— ومتى ترجعون إلى مصر ، يا ظمياء ؟

— حين تسمن الأسماك

— ومتى تسمن الأسماك ؟

— حين ينضج التوت

— ومتى ينضج التوت ؟

— حين تمقل ليلي وترجع إلى التلطف مع طبيبها النبيل

— إذا لن ينضج التوت ولن تسمن الأسماك

— صبراً يا دكتور فان الله مع الصابرين

— سأصبر يا طفلي الغالية ... ولكن كيف كانت ليلي مع

عبد الحسيب ؟

— كانت تنفطرس عليه كما تنفطرس عليك ، فتتجاهل

ما تعلّى عليه الصباية من نظرات وأحاديث . والمحبون ينفطرسون

لأنهم أذلاء ، ولو كانوا على شيء من العزة لاحترقوا الكبرياء .

وهذا هو السبب في أن الأحباب يحرم بعضهم عطف بعض .

فالحبيب يريد أن يذل له المحب ، والمحب يريد أن يذل له الحبيب ؛

وفي ظلمات هذا العناد السخيف تنفصم الأواصر والصلات .

وكان المسكين عبد الحسيب يسلك إلى قلب ليلي كل سبيل . كان

يحتمل ليطفر منها ابتسامة . كان يُفرب في سرد أخبار الشيخ كراوية

— ومن الشيخ كراوية يا ظمياء ؟

— أستاذ كان يدرس اللغة العربية بمدرسة المساعي المشكورة

بإزقازيق .

— أنت جاهلة يا ظمياء ، فدرسة المساعي المشكورة في

شبين الكوم لا في إزقازيق

— أوكد لك أنها في إزقازيق . ولك أن تسأل ليلي

فمندها الخبر اليقين

— إذا أخذت العلم عن ليلي فلي العلم المعاف

— وكان عبد الحسيب يقف فيقلد صوت الشيخ كراوية

وهو ينشد قول جرير :

إن الميون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به ومن أضف خلق الله إنساناً

وكان بصوب بصره إلى ليلي حين يصل إلى عبارة « ومن

أضف خلق الله إنساناً » ، وكان يرضيها أن ترى هيامه بها فتبالغ

في التنفطرس والازدهاء

١٠٠٥٢

وفي إحدى المصريات دخل عبد الحسيب غضباناً فأنزعج

الشيخ دعاس وأزعجت السيدة نجلاء ، فنظرت إلى وجه ليلي

فرأته يشبه دجلة في أيام نيسان

— إيش لون ؟

— وأنت يا مصرى تقول « إيش لون ؟ »

— إيش لون ؟ إيش لون ؟

— دجلة في نيسان تحاول من فرط الشوق والحبوبة أن

تلطم وجه بغداد

— وكانت ليلي تحب أن تلطم وجه عبد الحسيب ؟

— كانت تهم باقتراسه لأنها كانت تنكر أن يدرك معنى

البؤس وهي في دنياه

— كانت تحبه ؟

— وأي حب ؟ وهل في الدنيا فتاة تحبس قلبها عن فتى وافر

الرجولة متين الأخلاق ؟

— وما هي أسباب ذلك الغضب الذي سيطر على عبد الحسيب ؟

— قال إنه تاق محاضرة في مدرسة البوليس ألقاها الصاغ

على حلمي عن « القوة المعنوية » فثار صدره وعجب كيف يعجز

عن التسلح بالقوة المعنوية ، وجلس على المائدة وهو في غاية من

العقل ، فلا نوادر ولا فكاهات ، ولا الشيخ كراوية ولا عبد الله

شعيب . فعرفت ليلي أن الشاب ابتدأ يحاربها بلا رحمة ولا إشفاق .

آه ، ثم آه !

— لا تتأوهي يا ظمياء فقد مرقت قلبي

— تحبني يا مولاي ؟

— استحي يا ظمياء فأنت في حضرة طبيب

— وبعد ليالٍ دعتنا السيدة نجلاء لسامع الغني عبد اللطيف

البنّا في ملاهى المرض فسمعتاه يقول :

« سلامة القلب من حبك يا قاسى »

فتحدثت مدامع ليلي وأصابها إغماء . وكانت ليلة قضيتها

في كروب وأشجان . وفي الليلة التالية صممت ليلي على أن

تذهب وحدنا إلى ملاهى المرض ، فسمعتنا أم كلثوم تنفي

يا لى شغلت البال يا ليت أكون على بالك

الوجد له أحوال يا ليتني أعرف حالك

عبد الحسيب ، فرجنا إلى العراق ونحن نكي سلامة الأخلاق في بلاد الفراعين

— شيء مروع ، شيء مروع !

— لا يحزن يا مولاي ولا تبئس ، فقد وقعت أعاجيب

— أفصحى يا ظمياء

— في اليوم الثالث والعشرين من تشرين الأول سنة ١٩٢٦

طرق الباب زائر غريب ، فنظرنا فإذا هو الضابط عبد الحسيب بميئته الحضراوين وقوامه الرشيق ؛ وهجمت ليلي عليه فقبلت جبينه وخديه بالتهيب ولا استحياء ، ودعونه للنزول في ضياقتنا قرفض ، وقال إنه جاء لخطبة ليلي ، وإنه ظفر بدبلوم مدرسة البوليس ، وإنه مرشح لرياسة نقطة النعناعية ، فنظرت ليلي إليه بميني اللبوة العادية وقالت : لن أقبل يدك أو أختبر أخلاقك !

— ثم ماذا ؟

— ثم استيأس الشاب المسكين وقال : وبأى صورة أعيش في بغداد ؟ فقالت ليلي : ذلك إلى

— ثم ماذا ؟

— ثم تحملت ليلي بأهلها ومعارفها إلى نوري باشا السعيد وكان يومئذ وكيل القائد العام ، وكان برتبة زعيم فالحق الضابط عبد الحسيب بالجيش العراقي بحجة التقريب بين مصر والعراق

— شيء جميل !

— انتظر يا دكتور ، فقد أفدت ليلي كل شيء

— وماذا صنعت الحقاء ؟

— بثت من حوله العيون لترى كيف يفكر وكيف يصنع ، فصيح عندها أنه كافر بالحب وكافر بالمروية فأصلته نار الصدود

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم رحل المسكين إلى مصر بدون أن يستأذن رئيسه نوري باشا السعيد

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم خلت حياة ليلي من حبيبها الغاني فلم تمد تعرف طعم الحياة و الفها الضنى والتحول

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم علم الشاب المسكين بمرض محبوبته الذالية فلاذ بأمه الرهوم فضت إلى الأستاذ خليل مطران تستفتيه ، فكان من رأيه

فأخذت ليلي تبكي بكاء لا يجود بمثله عيون الأطفال ، فخشيت أن تفتضح وأخذتها في سيارة إلى المنزل الذي كنا نقيم فيه بشارع قصر النيل ، وانحبسنا عن جميع الناس ثلاثة أسابيع — ثم ماذا ؟

— ثم تفضل الشيخ دعاس والسيدة نجلاء والآنسة درية بالسؤال عنا فتشجعت ليلي وسألت عن عبد الحسيب ، فابتسم الشيخ دعاس وقال : تحببته يا ليلي ؟ فقالت : ما أحبه ، وإنما أشتغى أن يحدثني مرة ثانية بحكايته يوم تشيطان فأخذ زجاجة الزيت وملأ بها حار زملائه من التلامذة الأقباط حين كان تلميذاً بمدرسة المساعي الشكورة الثانوية

وقهقه الشيخ دعاس وهو يقول : وما رأيك يا ليلي إذا كان التلامذة الأقباط أصبحوا يرحبون بوضع الزيت في محارمهم على أيدي التلامذة المسلمين ؟

ولم تفهم ليلي ما يريد ، فاستطرد الشيخ دعاس قائلاً : نحن اثنتان يا بنتي على يد الشيخ الصالح سمع زغلول ، وأنا وضعت قواعد الائتلاف قبل سمع زغلول ، فزوجتي نجلاء كانت مسيحية وأسلمت لتربط بين مصر ولبنان . ذا رأيك لو خطبتك لعبد الحسيب ؟

فاستأنست ليلي وقالت : هل قرأت يا فضيلة الشيخ أخبار عمر بن أبي ربيعة ؟

فقال : ما قرأتها ، لأن أخبار عمر بن أبي ربيعة لا تدرس في الأزهر الشريف

فقالت ليلي : كان ابن أبي ربيعة يسهوى جميع النساء اللاتي يشهدن موسم الحج ، إلى أن فتنته امرأة عراقية ، فراودها عن نفسها فاستمعصمت ، فغطبها لنفسه فأبت وقالت : تعال إلى العراق واخطبني من أهلي . وكان ابن أبي ربيعة ماجناً فلم يتبع معشوقته إلى العراق ، وحرمه المجنون من التشرف بمصاهرة أهل العراق . فان كان عبد الحسيب صادقاً في حبي فليعض إلى العراق وليخطبني من أهلي هناك

وعرف الشيخ دعاس أن هزل الحب جد ، فانصرف وهو مكروب !

— ثم ما ذا يا ظمياء ؟

— ثم انتظرنا أسابيع فلم يسأل عنا الشيخ دعاس ولا ابنه

والأنهار فلا تدرकिन كيف يتسم الوجود

— ظمياء !

— عيوني !

— ظمياء !

— عيوني ، دكتور زكي ، عيوني !

— خذي بزماي إلى الجحيم

— وأين الجحيم يا مولاي ؟ حاك الله ونجاك !

— أين الجحيم ؟ أمتعرفين ؟ خذي بزماي إلى دار ليلي عـلني

أعرف مصري في هوى تلك الظلوم

— في هذا المساء ؟

— في هذه اللحظة

— إنتظر حتى أراها وأرجع إليك ، فإن اصطدام الماشقين

في فورة الغضب قد يهلك على أن تمن عليها أو تجرها إلى أن تمن

عليك ، والن يصنع بالحب ما تصنع النار بالخلفاء

زكي مبارك

« للحديث شجون »

مؤلفات

الأستاذ محمد كامل حجاج

٤٠ بلاغة العرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب
الفرنسي والانكليزي والألماني والاطال مع تراجم
الشعراء والكتاب)

٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات في الأدب
والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان
تمثيلتان)

١٨ نباتات الزينة المشبية (على باحدى وتسعين صورة
فنية)

١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس الصور
السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكاتب الشهيرة

وكتب الزراعة تطلب من

شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا

أن يُنتقم من ليلي بطريقة دولية تضج لها المشرق والمغرب ،
وصح عنه أن تغنى السيدة فاددة هذا البيت :

يقولون ليلي في العراق مريضة فياليتني كنت الطبيب المداويا
ولم يقف عند هذا الحد ، بل أشار بوضع هذا الصوت في شريط

« أنشودة الفؤاد »

— ثم ما ذا يا ظمياء ؟

— ثم تنكر أهل العراق لذلك الشريط وقاموه غير على

ليلي فلم يمرض في بغداد غير مرات ممدودات

— ثم ماذا يا ظمياء ؟

— ثم لطف الله بليلى فجاء الدكتور زكي مبارك لمداوتها

منتدباً من الحكومة المصرية

— وما الرأي يا ظمياء إذا عوفيت ليلي ومرض الطبيب ؟

— الأمر يومئذ لله

ليلي ، ليلاي

أنت تعلمين أنني تركت في سيديك وطني وأهلي . أنت تعلمين
أن صحتي اعتلت وأنني أعيش على منقوع الفؤاد كه منذ أسابيع
وأسابيع . أنت تعلمين ما أنا صائر إليه إن دام هذا الصدود .
أنت تعلمين أني ضحية الواجب والعقيدة والوجدان . فاهذا التجنى
يا ليلي وأنا ما خنت العروبة ولا كفرت بالحب ؟

أحبك يا ليلي ، أحبك ، فاصنعي بقلبي ومصري ما شئت
وشاء الهوى وشاء الدلال

أحبك يا ليلي في غضبك ورضاك . أحبك حباً ماسبقني إليه
سابق ، ولن يلحقني فيه لاحق . أحبك يا ليلي وأحب من أجلك
جميع ما في الوجود حتى قيظ بغداد . أحبك يا ليلي وأرى وجهك
مسطور الملامح والتفاصيل في كل ما تقع عليه عيناى . أحبك
وأحب من أجلك نعيم الحياة وبؤس الحياة ؛ وما أحب الحياة
لنفسى يا ليلي فقد شبت منها ورويت ، وإنما أحب الحياة ليلتي
لك في الدنيا محب صادق يرى الضلال في هواك أشرف من الهدى ،
ويرى الظلام في هواك أكثر إشراقاً من يياض الصباح

أحبك يا ليلي وأغنى ألا تحبيني ؛ فما يرضيني أن تمناني في
الهوى بمض ما أعاني

أنا أكره لك يا ممدودي أن تذوق ملوحة الدمع ، وأن تهيم
بعد نجوم الليل ، وأن تقف موقف الجلود أمام الأزهار والأشجار

مصطفى صادق الرافعي

بناسبة مرور سنة على وفاته

للأستاذ فليكس فارس

نفة ما نشر في العدد الماضي

—>>>>>><<<<<<—

لكل كاتب منهجه، ولكل مفكر تقديره . وما أذهب إليه في تحديد الرافعي هو ما تيقنته فيه قبل أن تنشأ بيننا أية علاقة شخصية ، إذ رأيت فيه الأديب المطبوع المتعبد على كل مشايعة وتقليد . فهو مثال جديد للأدب العربي القديم يستلهم أجواء الشرق ويلبس تفكيره حلة من لغة الجنان لا يسع كاتباً من عباقرة سائر الأمم أن ينسج على منوالها .

الرافعي هو أحد أعلام العرب الممدودين ، أحد الأئمة السائرين في الطليعة من قبائل الأدباء في عصر النهضة الجديدة . ولا يجوز لأي كاتب منصف أن يصوره للتاريخ متخلفاً خطوة واحدة عن رفاق جهاده . فن الجناية على الحق أن نقيم في وهما حابة نستركض عليها عبارتنا وننسى بالنظر إليهم كأنهم جياذ السباق يتجهون إلى أمد واحد . فليس الأدب حلبة اختط المراهنون عليها طريقاً واحداً لتغلب فريق على فريق ؛ إن الأدب إلا أجواء تتطأ فيها القرائح فراشات تسهبها أنوار وأنوار ...

ولكل نور جذبه، ولكل نور جماله ، إذا هو اقتاد المنجذب إليه نحو الحق والخير . وما أدري أن بين كتابنا وشمرائنا أمواتاً وأحياء من يبر مصطفى في إيمانه ووطنيته وقوميته وإشراق بيانه ومثانة أسلوبه ولطافة شعوره وعمق تفكيره

هذه قطعة (رؤيا في السماء) إن وجدت لها مثيلاً من حيث الفن بين ما كتب أشهر الرمزيين من أبناء الغرب ، فأنك لن تجد ما يشبه روعة بيانها ولا إشراق إلهامها وقد تلاذت في سطورها من الأحاديث الشريفة ، ومن حكم السلف الصالح ما يدفع بك وأنت تتلوها إلى السجود كأنت تصلي بأصوات القبور المتعالية من خفايا فطرتك وأعماق روحك

اسمع صرخة الإلهام في روح الرافعي تخرج من فم ملاك يؤنب رجلاً فضل المزوبة على الزواج ووقف في البرزخ الفاصل

بين العالمين متخذاً من نفسه وتعبده زاني إلى الحق قال الملاك : (جئت من الحياة بأشياء ليس فيها حياة ، فاصنعت للحياة نفسها إلا أن هربت فيها وأنهزمت من ملاقاتها ؛ ثم أنت تؤمل جائزة النصر على هزيمة . عملت الفضيلة في نفسك ونشأتك ، ولكنك عقلت فلم تعمل بك . لك ألف ألف ركمة ومثلها سجديات من النوافل ، وخير منها كلها أن تكون قد خرجت من صلبك أعضاء تركع وتسجد) —

أسمت كيف يمتد الرافعي عن أيمانه فيدعوك إلى الإيمان ؟ فاسمع الآن كيف يهيب بالشباب إلى إقامة الوطن المنشود !

(يا شباب العرب ، لم يكن العسير بعسر على أسلافكم الأولين كأن في يدهم مفاتيح من العناصر يفتحون بها . أريدون معرفة السر ؟ السر أنهم ارتفعوا فوق ضعف الخلق فصاروا عملاً من أعمال الخالق . غلبوا على الدنيا لما غلبوا في أنفسهم معنى الفقر ومعنى الخوف والمعنى الأرضي . وعلمهم الدين كيف يعيشون بالذات السماوية التي وضعت في كل قلب عظمتها وكبرياءه . القوة القوة يا شباب العرب ! القوة التي تقتل أول ما تقتل فكرة الترف والتخث . اجملوا رسالتكم إما أن يحيا الشرق عزيزاً وإما أن تموتوا)

أسمت كيف يلهب الرافعي النفوس شوقاً إلى العظمة التي تكشف لك في آن واحد عظمة الحياة الدنيا ومجد الحياة الخالدة ؟ فاسمع الآن كيف بصور لك الرافعي سعداً بأسطر وهو من يكاد ينوء التاريخ بإحصاء صفاته

« إن سعدا العظيم كان رجلاً ما نظر إليه وطني إلا بعين فيها دلائل أحلامها ، كأنما هو شخص فكرة لا شخص إنسان . فإذا أنت رأيته كان في فكرك قبل أن يكون في نظرك ، فأنت تشهد بنظرين أحدهما الذي تبصر به والآخر ذلك الذي تؤمن به . رجل الشعب الذي يحس كل مصري أنه يملك فيه ملكاً من المجد . وقد بلغ في بعض مواقفه مبلغ الشريعة فاستطاع أن يقول للناس : ضعوا هذا المعنى في الحياة وانزعوا هذا المعنى من الحياة)

أسمت الرافعي في مجال العقيدة الروحية والوطنية ؟ فاسمعه الآن كيف يسبر غور معضلة الانتحار بقوله :

(وليس يحيب الإنسان إلا خيبة عقل أو إرادة ؛ وإلا فالفقر

معنى السقوط، والمرأة تسارقهم النظر تنوباً لرجلها الواحد، وهذا معنى المواخر ...

(أين تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عربانيين؟
يا لحوم البحر، سلخك من ثيابك جزار ...

(والبحر يعلم اللأني والذين يسبحون فيه كيف يفرقون في البر
لو درى هؤلاء وهؤلاء مرة اغتسلهم معاً في البحر لاغتسلوا
من البحر، فقطرة الماء التي نجسها الشهوات قد انكبت في دماغهم
وذرة الرمل النجسة في الشاطئ، متكبر حتى تصير بيتاً نجساً
لأب وأم .

(يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار ...)

هذه نماذج تلوح الرافي من خلالها للحا، نضمها هذا المقال
لشاهد هي له بأنه الكاتب المطبوع على سجية نفسه، والفكر المتكرر
للعاني من حياة الشرق نفسها، لا بما صورته عباقرة الغرب من
حياتهم في تأليفهم . وإذا أنت أردت أن تعرف الرافي وتحيط
بآفاق تفكيره وشعوره فإنك لتجد فيما كتب ما يستثير لبك
ويشغل ذهنك حولاً كاملاً . ولكن يكفيك لتخضع أمام الرافي
وتعلم في أي مقام يضمه بيانه من الأدب العالمي، أن تغلب مصنفاته
ساعة قذرى كأن أملك تفتح لك من كامئات نفسك ما كنت
تحس به غماماً فإذا هو الفلك الخفى يدور أمامك بكواكبه وبهرك
بأنواره ...

إن كتابنا البارزين ممن أجادوا لغات الغرب ووعوا تواريحها
لا يسمهم، إذا نحن استثنينا النذر اليسير من المجددين بينهم، أن
يلبسوا تفكيرهم وشعورهم بياناً عربياً دون أن تطفئ من هذا
البيان صور وانطباعات تنقل إليك رواشم أسلمها . فإن في أدبنا
اليوم ارتشاحات فرنسية وإنكليزية وألمانية وروسية الخ ...
ولكم من قطعة أدبية لولا ثقتك بمقريه كاتبها لحسبتها مترجمة
عن اللغة الأجنبية التي يجيدها لا مستلهمة من أجواء بلاده وأدب
قومه . ولكم من رواية يكفيك أن تبدل الأسماء العربية فيها
بأسماء إفريقية ليصح أن يدعى تأليفها إلى كاتب أجنبي يصحور
أخلاق الغرب ونظمه وعادته

والحاجة والمرض والاختلال والذل والبؤس والمعجز عن الشهوة
وفساد التخيل، كل ذلك موجود في الناس بحمله أهله راضين به
صابرين عليه، وهو الغبار النفسى لهذه الأرض على نفوس أهلها
ويأعجبا ... إن المميان هم بالطبيعة أكثر الناس ضحكاً وابتساماً
وعبثاً وسخرية، أفتريدون أن تخاطبكم الحياة بأفصح من ذلك ..
هذه عبارة من بحث طويل في الانتحار قد لا تجد ما يضاهاه
من أبحاث الغرب تحليلاً وتصويراً واستنتاجاً

هذا هو الرافي الفيلسوف، فاسمع الآن إلى قلب الرافي
يتدفق حثاناً ورقة وهو يصف طفلاً ماتت أمه :

(وطفت عليه الدموع، فتناول منديله ومسحها بيده
الصغيرة، ولكن روحه اليتيمة تأبى إلا أن ترسم بهذه الدموع
على وجهه معاني يتعها . ونهض الصغير ولم ينطق بذات شفة،
نهض يحمل رجولته التي بدأت منذ الساعة)

(انتهت، أيها الطفل المسكين، أيامك من الأم، هذه الأيام
السعيدة التي كنت تعرف الغد فيها قبل أن يأتي معرفتك أمس
الذي مضى إذ يأتي الغد ومك أمك . وبدأت، أيها الطفل المسكين
أيامك من الزمن وسيأتي كل غد محججاً مرهوباً إذ يأتي لك
وحدك، ويأتي وأنت وحدك)

وهذه عبارة من مقال (عروس ترف إلى قبرها)

(ودخلت أعودها فرأت كأنني آت من الدنيا، وتنسمت مني
هواء الحياة كأنني حديقة لا شخص . ومن غير المريض المشقى
على الموت يعيش بقلوب الناس لا بقلبه)

إلى أن قال :

(وباقتراب الحبيب المحتضر من المجهول يصبح من يحبه في
مجهول آخر فتختلط عليه الحياة بالموت، ويعود في مثل حيرة
المجنون حين يمسك بيده الظل المتحرك ليمتعه أن يذهب، وتمروه
في ساعة واحدة كآبة عمر كامل تهيم له جلال الحس الذي يشهد
به جلال الموت ...)

وهذا أيضاً مقطع من (لحوم البحر)

(الفتاة ترى في الرجال المرانين أشباح أحلامها، وهذا

التاريخ في سير أبطاله

ابراهيم لنكولن

هبة الزهراء الى عالم المدنية
للأستاذ محمود الحفيف

— ١١ —

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في
نسفها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم

والحق أن مسألة العبيد تزداد تعقيداً كلما تقدمت الأيام ؛
ولكن ابراهيم لم يكن الرجل الذي يضل السبيل إذا تعقدت من
حوله مسائلها . رأى بتأخذ بصيرته أن السماح بانتشار العبيد
وراء الحد الفاصل معناه سيادة أهل الجنوب وبقاء نظام العبيد
إلى أمد بعيد ؛ ورأى كذلك أن الدعوة إلى التحرير تؤدي لا محالة
إذا اشتدت إلى انسحاب أهل الجنوب من الاتحاد فينهار البناء ،
وتعصف بالوحدة القومية الأنواء . إذا فليتنظر وليحذر وليتربص
ما تأتي به الأيام ...

انصرف دوجلاس ولكنه قبل أن ينصرف أبي إلا أن يأتي
ما يدل على طبعه ، فلقد نقض العهد وأتى بعد يومين خطاباً جديداً
حاول فيه أن يدافع عن آرائه ، ولم يستطع لنكولن إلا أن يظل
عند مكتبته ، فأبى أن يتكلم وقد جعل بينه وبين خصمه ميثاقاً أن
يقطعا حبيل الجدل

ولقد كان لا تنصاع لنكولن على دوجلاس العظيم ذلك السياسي
الملحوظ المكانة أثر بعيد في حياة ابن الغابة قاطع الأخشاب بالأمس
وعامل البريد ، وفتى الحانوت البائس الفقير ؛ ذلك أنه ازداد ثقة
بنفسه فأخذ يشتد طموحه ويمتد بصره ؛ وازدادت كذلك ثقة
الناس فيه واشتد إعجابهم به واطمئنثانهم إلى مقدرته وجزالة
ولذلك تراء يخطو خطوة جديدة في مضمار السياسة فيطمع
أن ينتخب عضواً لمجلس الشيوخ ويأمل بذلك أن يعود إلى
وشنجنطون . وهل كان يرى نفسه دون دوجلاس مقدرة ومكانة

إذا كان التفكير العلمي المحض مشاعاً بين الأمم ولا قبل لك
بالتعيز بين اكتشاف وفق إليه جرمانى ، واكتشاف آخر يظفر به
لاتيني أو عربي ، فليس الحال كذلك في الأدب ، لأنه خطرات
أفكار ، وسامحات شعور ، تخرج من صميم الفطرة وتتخذ حتماً
الصور والألوان الخاصة بلسنة كل شعب وتقاليده وأخلاقه ، فليس
هنالك أدب عالي كما أنه ليس هنالك فن عالي وموسيقى عالية بما
تدل عليه هذه الكلمة من الإطلاق . غير أن هنالك آداباً وفنوناً
وموسيقى تبلغ الذروة من الإبداع ، فإذا نقلت إلى أمة غريبة عن
منشئها احتفظت بالقدر الكافي من الجمال لتؤثر في نفوس الأمة
الغريبة

إن بين آثار كتابنا في هذا الزمان قطعاً فنية تتدفق روعة
وجالاً ، ولكنك لا تجد إلا اليسير منها ما يمكنك أن تنقله إلى لغة
أجنبية دون أن يقول لك أهلها إنهم قرءوا مثلها في مؤلفات
كتابهم ...

لكأن العناية قد أرادت بمت الأدب العربي صافياً ليجمع
ما انفرط من شمل هذه الأمم التي تناهت الأذواق العربية بيانها ،
فأرسلت من اختارت في مطلع نهضتنا يعمثون لفنة الجنان بعد
طول هجوعها ، يعمثونها ملهمة من الرحي ومما أبدعه استغراق
التقدمين حين كان شعورهم تسبيحاً وتفكيرهم صلاة وسجوداً .
يعمثونها لا يكدر نهرها التدفق بنبوع دخیل ، ولا تنشوء أساليبها
عجمة ، ولا يحتل إيجازها بإيجازها وإحكامها ، ما لا قبل لها به من
الأساليب الغربية . لكأن العناية أرادت أن تفتح آذان الجيل
الناسي إلى أصوات الأجيال المتوارية ، فاختارت لها رسلها وفي
ظليمتهم الراقص ، أنشأته في بيئة خاصة ، وقضت له بالاجبول إلا
في دوائر الأدب العربي ، وبلته بالصمم كيلا يسمع صوتاً إلا صوت
نفسه تتجاوب أصداء العروبة فيها من جميع حقبها وأطوارها ،
ليصرخ صرخته المدوية كأنها هتفة بوق النشور في هذه الشعوب
التي أضاعت استقلال تفكيرها ، فتناهب بيانها الغريب من كل
بيان حتى فقدت ثقتها بنفسها فقضت على ميزاتها وعزة حياتها
فليكى فارس

الحذر، ولقد كانوا يحبون منه اكتفائه بمقاومة انتشار العبيد، أما أن يميل إلى التحرير فجاء فيعمل مع التطرفين على القضاء على الاتحاد فذلك ما لا يقبلونه منه؛ وهكذا أخذ على الرجل ما لم يجنه فأصابه من الخذلان ما أصابه...

لا جرم أنه اليوم رجل سياسة أكثر منه رجل محاماة، ولا جرم أن معضلة العبيد قد صار لها المكان الأول من همه فهو لن يرجع حتى بنفس عن صدره بما يفعل في هذه المعضلة التي صارت المحور الذي تدور عليه سياسة الاتحاد، والمقدمة التي يتوقف على حلها مصير البلاد؛ وإنا لنرى فيه الرجل الذي يتطلبه الموقف شأنه في ذلك كغيره من عظماء الرجال الذين يظهرون في فترات الزمن ليم بهم للتاريخ وسيلة تحركه، إذ يصبح لديه الرجل العظيم والفكرة العظيمة، فإنا أن يتمثل العظيم الفكرة وعجزها بنفسه حتى يقدم لا يلويه شيء عن الغاية فيضل أو يهلك دونها ويذر البقية لمن يليه...

على أنه كان في سنته يومئذ قد وصل من المحاماة إلى أوج الشهرة، فكان وهو في السابعة والأربعين الرجل الذي يظفر في مهنته باطباق الناس على توقيده وإجماعهم على التسليم له بالنبوغ وطول الباع وسعة الخبرة، هذا إلى ما انفرد به من سجايا جعلته بينهم وكأنه أكثر من أن يكون منهم...

وتوافقت له فيما توافي من أسباب العظمة تلك الخصلة التي لا تقوم عظمة بدونها؛ والتي تجعل العظيم يظهر بين الناس وفيه شيء يجعلهم على إكباره طائعين أو كارهين؛ شيء يحسونه وإن كان أكثرهم يجهلون، شيء مبته ذلك السر المجيب الذي نعبر عنه بقولنا روح الرجل العظيم والذي يسميه بعض الناس الخماسة ويسميه بعضهم الإخلاص ويسميه آخرون الإيمان والذي هو في الحق مزيج من هذا كله لا ندري كيف يتم، مزيج ينبض به قلب العظيم ويجري في نفسه جريان الدم في عروقه... ومن الناس من وهبوا الذكاء الحاد والمهارة الفائقة ولكنهم حرموا تلك الخصلة فاستطاعوا في أعمالهم أن يرقوا بأنفسهم إلى مستوى أعلى من مستوى غيرهم؛ ومنهم من لم يظم ذكاؤهم ولكن يحس قلوبهم قيس من ذلك السر المجيب فإذا هم غير الناس، ثم إذا هم فوق

وهو قاهره على أعين الناس في أمر له عند الناس خطره؟ ولقد انتخب أول الأمر عضواً في مجلس المقاطعة ولكنه ما لبث أن استقال منه وأخذ يدعو لنفسه ليختار عضواً في مجلس الشيوخ للولايات... وكان منافسه في هذا شيلدر، ذلك الرجل الذي تحدى من قبل إلى مبارزة بالسيف لا يكتبه لتكولن عنه في إحدى الصحف وعده هو إهانة له

وكان الذين ينتخبون عضو مجلس الشيوخ هم أعضاء مجلس المقاطعة، وكان المجلس يومئذ يجمع أنماطاً من الرجال فرقت بينهم الأهواء وباعدت الآراء، ففيهم بقايا حزب الهوجز الذين يمتنون التطرف، وفيهم الديمقراطيون أنصار مبدأ العبيد، وفيهم المعارضون لقرار نبراسكا، وفيهم غير هؤلاء وهؤلاء ممن تتذبذب سياستهم حسب ما يقوم في رؤوسهم من الآراء في مسألة العبيد وكاذ يظفر أبراهام بما يتوق إليه وبما باتت زوجته تمنى النفس به لولا أن دعا الديمقراطيون في اللحظة الأخيرة إلى رجل غير لتكولن ومنافسه؛ وعندئذ أشار لتكولن على نصرائه أن يمتنعوا هذا الرجل الجديد أسواتهم ليفوت الأمر على منافسه الأول إذ كان هذا من أصحاب دوجلات بيننا الآخر ممن يمارضون قرار نبراسكا؛ وهكذا يذوق لتكولن صرامة الفشل من جديد.

ولكن الفشل هذه المرة لم يبلغ من نفسه ما كان يبلغه في الأيام السالفة، فهو اليوم مطمئن إلى نصيبه من رضا الناس وإلى حظه من الصيت والنقوذ. لقد قابل الأمر بدون اكتراث لولا ما أظهرته زوجته من غضب وحنق، على أنها ما لبثت أن رضيت وسكنت ثورتها، ذلك أنها كانت تكاد ترى رأي العين ما ينتظر زوجها من مستقبل عظيم...

ولم يصرفه الفشل عن السياسة كما كان عسيماً أن يفعل في ظروف غير هذه؛ فلقد عرف أن فشله يومئذ إنما يرجع إلى أسباب لا يستخذي لها، ومن أهم تلك الأسباب ما فعله دعاة التحرير، فلقد حشروا اسم لتكولن على غير علم منه في مضديهم وراحوا يباهون به الأحزاب؛ ولقد أدى هذا إلى ازعاج كثير من الديمقراطيين إذ حسبوه قد مال إلى الطفرة في مشكلة العبيد، كذلك أنكر الهوجز عليه أن ينحرف عن سياسته القاعة على

الناس ... ومن هؤلاء النفر ذلك الرجل الذي درج في الغابة والذي بنى نفسه فسار في الحياة على نهج من قلبه وعلى دليل من طبعه ، ذلك الرجل الذي لا يذكر لأحد عليه يداً والذي تنكرت له الأيام وعمرته المحن فدى كما يبقى الجوهر الحر لا تترك فيه النار من أثر إلا البرهان القاطع على أنه جوهر حر لا مظهر ...

وتشاء الأقدار أن تقوم عظمة أمريكا على كاهل رجلين من أبنائها درجا في مدرج الشعب وبرزا من صفوف العامة وها جورج واشنطن و أبراهام لنكولن ؛ أما أولهما فيرفع القواعد و يقيم الصرح ، وأما الثاني فيمسكه أن ينهار ؛ وتكون بذلك عظمة أمريكا عظمة ذات أصالة إذ لم تنشأ عن تقليد أو تستند إلى مبرج من ساطان زائف ، ويكون صرحها كالجيل الذي هو من أوتاد الأرض ، لا كالبناء الذي يقوم على أسس يجوز عليها أن تهتث من فوق الأرض ...

ومضت الأيام تسير بان الغابة سيرا معجلا وثيقا ليؤدي رسالته ، ولعله أشرف من حاضره على ما يمد له النهد القريب . أجل لعله أخذ يدرك أن مسألة العبيد مفضية حتما إلى خطوة واسعة يخطوها غداً فيجس بسدها أنه ترك في تاريخ بلاده ما تذكره به الأجيال . اقرأ كتابه إلى صديقه سيد تفع فيه على رأيه وتبين كثيراً مما كان يحول في نفسه ، قال : « في عام ١٨٤١ قنا معاً برحلة عملة على صفحة ماء منخفض في قارب بخاري من لوسفيل إلى سان لويس ، ولعلك تذكر كما أذكر أنه كان على ظهر القارب عشرة أو اثنا عشر عبداً مقربين في الحديد . ولقد كان هذا المنظر مبعث عذاب مستمر لي ، وإنى أبصر شيئاً مثله كلما لمست نهر الأهار أو أى جهة من جهات العبيد . وخلاف الجيل منك يا صديقي أن ترى في أنى لا أهم بذلك الشيء الذي ينطوى على قوة تكربني والذي لا يفتأ يسبب لي الكرب . لقد كنت حرياً أن تبين إلى أى حد يقتل سواد الناس في الشمال مشاعرهم حتى يستطيعوا أن يحتفظوا بولائهم للدستور وللوحدة »

في هذه الكلمة القصيرة ، ينجلي لنا رأيه في مسألة العبيد فهي مبعث ألم في نفسه ، ألم استقر فيها منذ القدم فأيرحها ، وهو على الرغم من هذا الألم يحرص على الوحدة وعلى الدستور وفي ذلك تلخيص دقيق لمهاجته الذي سيأخذ به نفسه حين يهيم أن يهوى بالفرقة الحاسمة فهو ضنين بالوحدة أن تنزول كما هو

حريص أن يحو كل أثر للعبودية في البلاد ...

لن يضيره اليوم ألا يصل إلى مقعد في مجلس الشيوخ بل ربما كان الشر في أن يظفر بهذا المقعد ، فلقد كانت له بعد فشله جولات لها خطرهما في حياته ، جولات تنتهي به حتماً إلى رئاسة الجمهورية فلم يبق ثمة على الدرب إلا مرحلة ...

وكثيراً ما يبتئس المرء إذا فاته فرصة كأنما أغلقت بفواتها مسالك الفوز من دونه ، وهو لا يدري أنه ربما كان الخير في فواتها ؛ والحياة مليئة بالأمثال حافلة بالمبر ؛ والعطاء وحدهم الذين لا يلويهم فوات الفرص وإن ابتأسست لفواتها أحياناً تقومهم ، بل إنهم ليحمون على الشدائد ويستمرون على الكفاح ويستثمرون اللذة في النصر ، كما يستثمرونها في ركوب الصعاب إلى ذلك النصر ، وإن ينقص منها ما قد يصيبهم من خذلان ولقد كان لنكولن من هؤلاء البواسل الأفاضل الذين لا يحفلون بالصعاب ، والذين لا يحول بينهم وبين وجهتهم خذلان مهما عظم ؛ بقى في سبرنجفيلد بعد فشله ليكون في المدينة زعيم الحزب الجديد الذي تستقبل البلاد مولده ؛ وهل كان غيره يجتمع عليه القلوب والأهواء ؟

كانت البلاد تستقبل حزبا جديداً هو الحزب الجمهوري ؛ ولقد تألف هذا الحزب من عدة عناصر يجمع بينها حرصها على مقاومة انتشار العبيد حسبما جاء في اتفاقية سوري ، فكان ينظم عدداً من الموجز وعدداً من الديمقراطيين وجماعة من دعاة التحرير ؛ وكان قيام هذا الحزب في تاريخ البلاد فاتحة فصل جديد كما كان في تاريخ لنكولن مبدأ عهد جديد

(ينبع)

الخفيف

أغلب مؤلفات
الاستاذ الأستاذ شبيب
وكتابه
الاستاذ الصالح
من : مكتبة الوفاء شارع الفلكي (باب اللوز)
ومن : المكتبات العربية المشرفة

الرافعي

في ذكره الأولى

للاستاذ محمد سعيد العريان

« نسي الكلمة التي أذاعها الأستاذ محمد سعيد العريان من
محطة الاذاعة الفلسطينية بالقدس في مساء الاثنين ٩ مايو سنة
١٩٣٨ بمناسبة تمام سنة على وفاة فقيه الأدب العربي المرحوم
مصطفى صادق الرافعي »

—>>><<<—

سيداتي، آنساتي، سادتي

سلام الله عليكم أهل هذه الأرض الطيبة ... وممطرة ،
وشكراً ...

لكأني بكم ترهفون السمع لتسمعوا ما يمكن أن أحدثكم
به عن الرافعي في ذكره الأولى ، وما أنا بمستطيع في هذه الفترة
القصيرة من الزمن أن أبلغ ما أريد وتريدون من الحديث عن الرافعي
لم يكن الرافعي أديباً كبعض من تقرأ لهم من أدباء الصحافة
ولكنه كان عالماً من أعلام الأدب ، وإماماً من أئمة الدين ،
وبرهاناً من براهين المربية بحاله به حين يموّزها البرهان
ولقد يكون من فضول القول أن أتحدث إليكم عن أدب
الرافعي ، وآثاره الأدبية بين أيديكم وتحت أعينكم ؛ وإنكم
لتعرفون أدبه وتعرفونه بأدبه . ولكني قد صحبت الرافعي عمراً
من عمري ، فعرفته أكثر مما يعرفه الناس ؛ فليكن حديثي
الليلة عن الرافعي الذي عرفته ...

لقد سمعت إسم الرافعي لأول مرة منذ بضع عشرة سنة ،
وكنت يومئذ غلاماً حدثاً ، لا أكاد أفهم ما يأتي إليّ ، سمعت به
وأنا طالب في الصفوف الأولى ، فسمعت اسماً له جرس ورنين ،
وله نشيد تنجاوب أصدائه في جوانب نفسي ، فحبّبت إليّ من
ذلك اليوم أن ألقاه ...

وقال لي رفيقي : « وى ! أتعرف من ذلك الذي أخذت عليه
الطريق عامداً ؟ » قلت : « صه ، لا يسمعك فيسوء في جوابه ! »
قال : « لا عليك ! إن في أذنيه وقرأ فلا يسمع ! »
وتبدلت في نفسي صورة بصورة ، واعي ألم ليحل في نفسي

من بعده ألم آخر ... وعرفت وقتئذ لماذا لم يرفع عينيه إليّ ولم
يردّ التحية ...

ولقيته بعد ذلك مرات كثيرة في الطريق ، وفي القهوة ،
وفي السبا ؛ وقرأت له مرات أكثر في الكتب ، وفي الصحف
وفي المجلات ، وعرفته ولم أزل كل يوم أزداد عرفاناً به ، ولكني
لم أعرفه المرفان الحق إلا بعد هذه الحادثة بعشر سنين ... حين
جلست إليه لأول مرة في دار كتبه من داره ، عرفته على حقيقته
وفطرة نفسه ، فكأنني لم أعرفه قبل ذلك اليوم ... وما فارقته
من بعد حتى فرق بيننا الموت . رحمه الله !

إنني لأحس حين أذكره الساعة كأني لست وحدي ،
وكأن روحاً حبيبة تطيف بي وترف حولي يجناحين من نور ،
وكأن صوتاً ندياً رفيع النبرات يتحدث إليّ من وراء الغيب
حديثاً أعرف جرسه ونغمته ؛ وكأن عينين تطلان عليّ من عالم
غير منظور لتأمراني أمراً وتلهمني الفكر والبيان ؛ ولكني
لا أرى ؛ ولكني لا أسمع ؛ ولكني هنا وحدي ، تنفثاني
الله كرى فتخيّل إليّ ما ليس في دنياي . هيهات هيهات لوم
الأماني !

لقد كان هنا صوت يتجاوب صدها بين أقطار المربية . لقد
كان هنا إنسان يملأ فراغاً من الزمان . لقد كان هنا قلم يصير
صريحاً فيه رنات الثاني ، وفيه آثات الوجع ، وفيه همسات
الأماني ، وفيه صرخات الفزع ؛ فيه نشيج البكاء ، وفيه موسيقى
الفرح .. خفت الصوت ، ومات الانسان ، ونحطم القلم ؛ ولكن
قلب الشاعر مازال حياً ينبض ، لأن قلب الشاعر أقوى من الفناء
في كل يوم يموت أديب من أدباء المربية وينشأ أديب ؛
فأين ، أين الأديب الذي يقوم لما كان يقوم له الرافعي ؟ أين ...
أين الأديب الذي ينتدب بعد الرافعي ليقف لكل من يحاول
التفحم على قدس القرآن ؟ أين ... أين الأديب الذي يقف قلبه
وبيانه للدفاع عن العرب والمربية والاسلام ؟ أين .. أين الكاتب
الأمي الذي يصور طهر الحب ، وسمو الانسانية ، وآلام البشرية
وأفراح الحياة ، فتنبثق نوراً في كل قلب ، وتتفجر شعوراً في
كل وجدان ؟ أين خليفة الرافعي الذي يقوم على سداده هذا الثغر
المطل ؟ أين حامل اللواء ، وأين صاحب القلم ؟

لقد كان الرافعي عصراً يتماه من عصور الأدب ، وجيلاً
بناسه في تاريخ العرب ، وفصلاً بعنوانه في مجد الاسلام

كانت الدنيا تموج من حوله بأناسها وحوادثها ، وتضطرب
حواليه في أمانها ونوازيها ، وتصطبغ في محيطه بشهواتها
ونوازعها ؛ وهو وحده يمشي من هذا المحيط المضطرب المائج
المضطرب في دنيا وحده لا يسمع إلا همسات روحه ، ولا يحس
إلا خلجات قلبه ، ولا ينظر إلا الهدف الذي يسعى إليه . وهياً
القدر بوسائله العجيبة لهذه الوحدة العقلية منذ صباه حين سلبه
السمع ، فماش حياته بعيداً عن دنيا الناس ، ومضى في طريقه
كما يمضي عابر السبيل : لا يلقى باله إلى شيء مما حواليه أو يبلغ
إلى غايته ...

لم يكن الرافعي ليعرف شيئاً في سياسة الحكومات العربية
المتعاقبة ، ولكن له هدفاً عاش يسعى جاهداً لتحقيقه : هو أن
يبحث الحمية الإسلامية في نفس كل مسلم ، ويوقظ النخوة العربية
في قلب كل عربي ؛ فكان بذلك رسول العروبة والاسلام إلى
كل مسلم وكل عربي ؛ فلا جرم كان بذلك أحب كتاب العربية
إلى كل مسلم وكل عربي

حياته الأدبية كلها تدور حول هذا المحور ، ومنشأته الأدبية
كلها يسعى بها إلى هذا الهدف ، ومعاركه الطاحنة كلها تنشب
في هذا المترك ؛ وما عادى عدواً قط من أدباء العربية إلا
لدين أو اللغة أو القرآن ؛ وما اتخذ صديقاً من رجال الأدب أو
السياسة إلا للدين أو اللغة أو القرآن

وليس من عجب أن تكون فلسطين هي أسبق بلاد العربية
إلى تجديد ذكرى الرافعي ؛ فقد كانت فلسطين هي أحب بلاد
العربية إلى الرافعي ؛ وما أحسبه كتب شيئاً يتصل بشأن خاص
من الشئون القائمة في بلد من بلاد العربية ، وإن له في فلسطين
لمقالات يذكرها كل عربي في فلسطين !

لقد حاول كثير من مؤرخي الأدب أن يتحدثوا عن الرافعي
في حياته ؛ فقالوا شاعر . وقالوا كاتب . وقالوا أديب . وقالوا عالم .
وقالوا مؤرخ . ولكنهم لم يقولوا الكلمة التي كان ينبغي أن يقال :

لقد كان شاعراً ، وكاتباً ، وأديباً ، وعالماً ، ومؤرخاً ؛
ولكنه بكل أولئك ، وبغير أولئك ، كان شيئاً غير الشاعر
والكاتب والأديب ، وغير العالم والمؤرخ ؛ كان هبة الله إلى الأمة
العربية المسلمة في هذا الزمان ، لينبها إلى حقائق وجودها ،
وليردها إلى مقوماتها ، وليشخص لها شخصيتها التي تميز باسمها
ولا تعيش فيها ، والتي تعز بها ولا تعمل لها

وكان يشعر أنه وحده في البدان والجميع إلب عليه ، فماش
حياته كلها بصارع ويكافح ، ويقاوم ويناضل ، حتى خر صريعاً
وفي يده الراية ؛ لم يتركها حتى انتزعها الموت من يده !

كثير ما قال عنه أعداؤه وغير أعدائه في حياته : إنه حديد
اللسان . إنه لدود الخصام . إنه لا يري اعتباراً مما تقوم به الصلات
بين أهل الأدب ، حين ينزل إلى معترك من معارك النقد ...

صدقوا ، ولكن ... أرأيت مرة على البدوي الذائر لعرضه أن
يسفك الدم ؟ إنه هو هو ؛ فن ذلك كانت شدته وصرامته ولده
في الخصام : في سبيل القرآن ، ومن أجل العروبة ، ولكرامة
الإسلام . كان ذلك عرضه الذي يحورص عليه أن ينتهك ؛ فن
ثم كانت خصوماته الأدبية كلها فيها معنى الدم !

الدين ، واللغة ، والقرآن ، أو العروبة والإسلام : ذلك كان
مذهبه في الأدب ، وله كان جهاده ؛ حتى في الحب — وللرافعي
حب مشهور — وحتى فيما أنشأ من رسائل الحب ، لم يكن الرافعي
يعتبر إلا مذهبَه والهدف الذي يسعى إليه : للدين ، ولغة ،
والقرآن ...

من شاء فليقرأ كتبه الثلاثة في فلسفة الجمال والحب ، ليري
فيها كيف تسمو روح العاشق على شهوات البشرية حتى تتصل
بخالقها الأعلى ؛ ثم ليري العربية أسلوباً جديداً ، فيه عمق الفن ،
ودقة التعبير ، ووضوح الأداء ، حتى في الترجمة عن أعمق
ما يجيش به خفايا النفس الإنسانية

ولأدب الرافعي ميزة ليست لكثير من أدباء الجيل ؛ فهو
أدب عليه طابع الخلود وتلك آداب إلى زوال . هذا أدبه بين
أيدينا وتحت أعيننا ، ما تزال تدفعنا إليه دوافع من أنفسنا في
فترات متقاربة أو متباعدة ، لنميد قراءته وتتملي ما فيه من جمال

الى الشاب

بين جوته وإيكرمان

للاديب نصرى عطا الله سوس

—>>><<<—

جينا — الثلاثاء ١٨ سبتمبر سنة ١٨٢٣

في صباح أمس وقبل أن يمودجوته إلى (فيهار) حظيت مرة أخرى بسعادة الحديث معه؛ وماقاله لي هذه المرة لا يثبت بالنسبة لي؛ ويجب على جميع شعراء الشباب الألمان أن يلغوا به بدءاً بمؤالي عما إذا كنت قد كتبت شعراً هذا الصيف، فقلت كتبت بعض القصائد ولكن كان بنقصني على العموم المؤاتاه الضرورية، فقال جوته : حذار من محاولة كتابة موضوع كبير . إن هذا هو ما يضر بأكبر العقول عندما حتى أولئك الذين يمتازون بأذهان

وصدق وقوة . وذلك أدب الأدباء ، ما يكاد القارى ينتهي منه إلى ما يريد حتى ينساه فلا يعود إليه ولا يذكره ، على ما فيه من لذة ومتاع !

لم يكن الرافعى يكتب تلك الكتابة الصحافية السوقية التي تلمس للهو وإزجاء الفراغ؛ ولكنه كان يكتب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة ، وينشئ أدباً يسمو بضمير الأمة ، ويشرع طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد ، وسعادة الأبدية ، ومجد التاريخ الرافعى ! رحمه الله ! لقد عاش في خدمة العربية سبماً وثلاثين سنة من عمره القصير ، وصل بها حاضرها المائل بماضها البعيد؛ فهي على حساب الزمن سبع وثلاثون ، ولكنها على الحقيقة شطر من عمر الزمان ، وباب من الأدب ، وفصل في تاريخ الاسلام لقد عاش غريباً ومات غريباً ؛ فكأنما كان رجلاً من التاريخ بُعث في غير زمانه ليكون تاريخاً حياً ينطق بالعبرة ويجمع تجارب الأجيال ، يذكر الأمة العربية الإسلامية بماضيها المجيد؛ ثم عاد إلى التاريخ بعد ما بلغ رسالته ... لقد خفت الصوت ، ولكنه خلف صدهاء في أذن كل عربى ، وفي قلب كل مسلم ، يدعوهم إلى الجهاد لمجد العرب ، ولعز الاسلام .

« القدس »

محمد سعيد الصيرافى

حادة ومجهودات جديدة ؛ ولقد عانيت شخصياً هذه العلة . وإنى لأعترف لكم من أضرار أوقعت في . وأى شيء لم أتركه يسقط في البر . ولو كتبت كل ما وددت أن أكتب ما كفى من مائة مجلد . يجب أن ينال الحاضر حقوقه . فالأفكار والاحساسات التي تجول في نفس الشاعر يوماً بعد يوم يجب عليه أن يعبر عنها — ولكن إذا شغلت رأسك بموضوع كبير قلن تعيش أي فكرة أخرى بجواره . كل الأفكار ترفض وتصد ، حتى لذة الحياة نفسها تفقد وتنتد . وأى مجهود عقلى تبذل كي تنظم وتلم شعث موضوع كبير ! وأى قوة وأية طائفة تحتاج حتى يتسنى لك التعبير عنه في سلاسة لا تفتة ! وإذا خانتك التوفيق في أى جزء منه فكل مجهودك ضائع . وإذا عالج موضوعاً كبيراً ولم تكن على معرفة تامة بكل تفاصيله فسيكون إنتاجك ضعيفاً وتهدف للام . فبدلاً من المكافأة والسيادة جزاء على ما بذل من مجهود وتضحية لا يحظى الشاعر إلا بالازعاج وشال قواه العقلية . وهالك « أرنست هاجن » ذهن رائع ... هل قرأت كتابه « الفرد وليسنا » هناك نبذ بلغت الغاية من السمو ، نبذ غمة ولكن الكتاب لا يرضى أحداً . وأى مجهود وقوة أنفقها الكاتب ! لقد أنهك نفسه ! إنه يكتب مأساة الآن « وهنا ابتسم جوته وسكت برهة فقلت : « إذا لم تخن الذاكرة ، فأنت قد نصحت هاجن بمعالجة الموضوعات القصيرة » فقال جوته : « حقاً ! لقد فعلت ، ولكن هل يتبع الناس نصائحنا نحن الشيوخ ؟ كل يظن أنه أدري بنفسه من الآخرين . وهكذا يفشل البعض فشلاً نهائياً بينما يشرد البعض الآخر في مهامه الزلل لمدة طويلة — لقد كان الماضى زمن المنار ... ماضينا نحن الشيوخ . وما فائدة أبحاثنا وأغلاطنا إذا سار الشباب في الطريق نفسه من أوله مرة ثانية ؟ بهذه الطريقة لا يمكن أن نتقدم أبداً . لقد كابدنا أغلاطنا لأننا لم نجد طريقاً واضح المعالم نسير فيه ؛ ولكن ذلك الذى يأتى أخيراً ليس في حاجة لأن يبحث ويدل . بل يجب أن يتبع تعليمات الشيوخ كي يسير في الطريق السوى من المبدأ . ولا يكن مطلقاً أن تخطو خطوات قد تؤدي إلى غاية يوماً ما ، بل يجب أن تجعل كل خطوة غاية في حد ذاتها »

« تأمل هذه الكلمات وتبصر كيف تعمل بها . إنى لست

قلقا عليك ، ولكن نصائحى ستساعدك على إنهاء مرحلة لا تلائم مركزك الحالى . فإذا ما عالجت الموضوعات الصغيرة ، وإذا ما كتبت ما يمرضه عليك « الحاضر » يوماً بعد يوم فستنتج جيداً . وكل يوم سيجلب لك سمادة جديدة . إبحث بما تكتبه إلى المجالات ولكن لا ترضَ أبداً بكتابة ما يمرضه عليك الآخرين . إتبع وحي نفسك دائماً »

« إن فى الدنيا من العظمة والفن والحياة والتنوع بحيث لا يمكنك أن تفتقد بواعث الشعر ؛ ولكن الشعر يجب أن يكون له بواعث ... أعنى أن الحقيقة يجب أن تمد الشاعر بالدافع والمادة . إن الحادثة المعينة تصبح حادثة عالمية وشعرية إذا ما تناولها شاعر . كل قصائدى لها بواعث ، وقد دعت إليها الحياة الحقيقية ، ولها فى ذلك أسس ثابتة . أنا لا أعبر أى اهتمام للشعر الذى ينزع من الهواء »

« إن أحداً لن يقول إن الحقيقة تنقصها روح الشعر ، وهنا يثبت الشاعر قدرته بتمكنه من فن تناول الموضوع العادى من وجهة نظر خاصة بحيث يصبح مهماً . الحقيقة يجب أن تمد الشاعر بالدافع إلى الموضوعات التى يود التعبير عنها . النواة ووظيفة الشاعر هى أن يخلق من هذه المواد وحدة جميلة حية . هل تعرف « فرنستين » ؟ إنه يدعى شاعر الطبيعة . لقد كتب أرق ما يمكن من القصيد عن زراعة حشيشة الدينار . لقد اقترحت عليه أن يؤلف أغاني على ألسنة أرباب المهن المختلفة ، خصوصاً النسيج . وإلى لوانق من أنه سيجيد ، لأنه عاش بين هؤلاء منذ صباه . ولذا كان سيد مادته . تلك هى ميزة الموضوعات الصغيرة . كل ما عليك أن تختار ما تعرفه جيداً . ولكن هذا لا يتأتى فى الموضوعات الصغيرة ، فى هذه الحالة لا يمكنك أن تتفادى أى جزء . وكل ما يتعلق بتوحيد مادة الموضوع وما يدخل ضمن عناصره يجب أن بصور بدقة ... وفى زمن الصبا ينظر الشباب إلى الأشياء من ناحية واحدة ؛ والموضوع الكبير يتطلب إمكان النظر من نواحي عدة ... ومن هنا الفشل ! »

وأخبرت جوته أنى كنت أفكر فى كتابة قصيدة طويلة عن الفصول أسمتها الكلام عن أعمال وملاهى الطبقات كلها فقال : « هذا فى قلب الموضوع . قد توفق فى بعض الأجزاء ، ولكن قد تخفق فى البعض الآخر عند ما تكتب عما لم تبحثه

أو تجربه جيداً ، وقد تكتب عن (السباك) جيداً ، ولكن قد يخونك الحظ فى الكتابة عن (الصياد) . وإذا أخفقت فى أى جزء فالنتيجة هى الفشل مهما أجدت فى بعض الأجزاء . وبذا تكون قد أنتجت إنتاجاً مبتوراً . اكتب كل جزء على حدة واقتصر على ما تعرفه . ومن المؤكد أنك ستنتج ما يرضى . وأحذرك خاصة من « الابتكارات » لأنها قد ترمى إلى التعبير عن فكرة خاصة عن العالم ، والشباب قلما يكون من النضج بحيث يوفق فى هذا . فضلاً عن أن الشخصيات والآراء التى يضمنها ابتكاراته تنفصل عن عقل الشاعر وتحرره من « الامتلاء » اللازم لكتابات المستقبل . وأخيراً ، كم من الزمن يفقدنى الابتكار والترتيب والترتيب . هذا ما لا يمدحنا أحد عليه ، حتى ولو كتبنا بنجاح . ولكن فى حالة ما يملأ الشاعر السادة تكون الأمور أحسن وأسهل ^(١) . فإذا ما مد الشاعر بالشخصيات والحقائق يكون عمله أن ينفخ الروح فيها فقط ، فيحتفظ بامتلائه ولا يفقد كثيراً من الزمن والمجهود . إنى أنصح دائماً باختيار الموضوعات التى طرقت قبلاً . فكم من « أفيجينيا » كتبت ولكن كلهن مختلفات . كل شاعر يتناول القصة حسب طريقته . عليك أن تترك التفكير فى الموضوعات الكبيرة الآن . لقد آن لك أن تعيش ذلك الطور البهيج من الحياة ، ولأجل أن تصل إلى هذا فعالج الموضوعات الصغيرة ... »

.... وكنا نسير فى الغرفة حيئة وذهوباً ولم يسمعى إلا التسليم شاعراً بصواب كل كلمة . ومع كل خطوة كنت أحس نفسى أسمع وأنشط . ويجب أن أعترف أن الخطط الكبيرة واللاتى لم يمكنى أن أخلص الى فكرة واضحة بصددها لم تكن بالعبء الهين على

إنى لأشعر أن كلمات جوته زادنى حكمة سنوات ، وعرفت ما فى مقابلة الأستاذ الحق من التوفيق والخير

نصرى هذا الله غطاس

(الرسالة) سألتنا بعض القراء عن عنوان الكاتب الأديب فنرجو أن يبعث به إلينا

(١) يقصد جوته الهيكل العظمى للموضوع كما فعل هو فى فارست وكما فعل شكسبير فى أكثر ما أنتجه



رِسَالَةُ الشَّعْرِ



ذكرى سبيل الوهمود

محمد

للأستاذ أنور العطار

نَحْنُ فِي مَوْلِدِ الْمُتَوَجِّحِ بِالنُّورِ
حَقَلْتُ بِالطُّيُوبِ فَالْعَالَمُ الْوَاحِدُ
وَالنُّجُومُ الْمُفَضَّضَاتُ عُمُيُونَ
كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ رَانَ أَخِيذُ
طَفَحَ الْكَوْنُ بِالْأَدَى وَالضَّلَالَا
فَعَنِ الْحَامِلِ الْبَشَائِرُ لِلْأَزْ
وَهَبَ الْبُرْءُ لِلْقُلُوبِ الْوَجِيعَا
وَأَعَادَ الْإِنْسَانَ رُوحًا تَقِيًّا
صَفْوَةَ الْخَلْقِ أَيْ نُورٍ عَلَى الْأَفْصَى
سَطَعَتْ مِنْ سَنَّاكَ هَذِي السَّمَوَا
أَنْتَ تَجْوِي الْأَرْوَاحَ فِي كُلِّ جَيْلٍ
تَتَنَاجَى بِكَ الْقُلُوبُ الْخَبِيرَى
بِأَسْمَاءِ الْجَلَالِ يَارْفَرَفَ الْخُلْدِ
لَأَصُوغَنَّ مِنْ نَدَاكَ الْأُنَاشِيدَ
كُلُّ بَيْتٍ يَكَادُ يَقْطُرُ بِالرَّفْقِ
يَا نَدَاءَ الْمَذِينِ الْأَسَارَى
كَلِّمْهُمْ رَاكِضٌ إِلَيْكَ يُرْجِيكَ
ظَفَرُ وَامِنْكَ بِالسَّمَاحَاتِ تَتَرَى
رِوْفِي لَيْلَةَ الرِّضَا وَالْمَغَامِ
سِعُ حَقْلٍ مِنَ الْأَزَاهِيرِ فَأَغِمِ
شَاخِصَاتُ وَالْكَائِنَاتُ مُتَنَامِ
ذَاهِبُ اللَّبِّ مُسْتَظَارٌ سَاهِمِ
تُ وَضَجَتْ رَحَابُهُ بِالْمَاءِ
وَاحٍ، مَنْ ذَلِكَ الْخَبِيبُ الْقَادِمِ
تِ، وَنَحْنُ عَنِ الْحَيَاةِ الْمَظَالِمِ
خَالِصًا مِنْ حُمُودِهِ وَالشَّخَائِمِ
جَمِ التَّلَامِيحِ، حَائِمِ
تُ وَرَفَّتْ بِكَ الدُّنَا وَالْعَوَالِمِ
وَشُعَاعُ الْهَدَى، وَرُوحُ النُّوَاسِمِ
وَتَنَسَّى بِكَ النُّفُوسُ الْهَوَائِمِ
وَيَا صُبُورَةَ النِّعَمِ الدَّائِمِ
وَأَقْنَنَّ فِي ضُرُوبِ الْمَلَامِ
وَيَخْضَلُ بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ
وَدُعَاءَ الْمُرُوءَاتِ النُّوَادِمِ
وَكُلُّ مَوْلَةٍ بِكَ هَائِمِ
وَعَنُوا بِالرِّضَا الشَّهْيِ الْمَنَامِ

صُعْتُ لِلنَّاسِ شَرْعَةً مِنْ عِلَاءِ
وَحَنَانٍ وَطَبِيعَةٍ وَمَرَاحِمِ
الْهَدَايَاتُ حَانِيَاتٌ عَلِيًّا
وَالْعَيْنَايَاتُ طَائِفَاتُ حَوَائِمِ
لَدَتْ بِالْفَارِ تَتَقَى شِرَّةَ النَّاسِ
سِ وَتَنَسَّى الْعُدُوانَ مِنْ كُلِّ نَاقِمِ
وَحِرَاءُ بِكَ اسْتَطَالَ عَلَى النَّجْمِ
وَنَاهَتْ بِهِ الصُّخُورُ الْجَوَانِمِ
يَسْتَهِي الْخُلْدُ لَوْ تَغْلَغَلَ فِيهِ
حُلُمًا فَاتَنَ الْمَسَرَاتِ نَاعِمِ
ضَمٌّ فِي سَاحَتِهِ نُورًا مِنَ اللَّهِ
تَسَامَتْ بِهِ الْعُلَى وَالْكَارِمِ
وَبِنَفْسِي عَنَّا كِبَ نَاسِجَاتِ
لَكَ سَدْرًا يَتِيكَ مِنْ كُلِّ آتَمِ

سَعَدَتْ بِالْهَدَى رَحَابُ الصَّخَارَى
وَنَلَّاتِ فِيهَا الْمَوَاسِمِ
أَعَشَبَ الْقَفَرُ وَازْدَهَى الصَّخْرُ الصَّ
لِدُومًا ضَمَّتْ مِنْهُ الْعُمُيُونَ النُّوَاجِمِ
وَتَنَدَّتْ هَذِي الرِّمَالُ الْعِطَاشَى
كَالْآلِي فَرَانِدَا وَتَوَائِمِ
تَتَعَنَّى وَالْكَوْنُ يَهْتَفُ جَذَلًا
نَ قَهْرَتِ فِي الْعِلَاءِ الْقَمَائِمِ
فَهِيَ حُلْمٌ عَلَى الْإِيَالِي جَمِيلِ
وَهِيَ نَائِي عَلَى مَدَى الدَّهْرِ نَاعِمِ
اسْمَعِ الرَّمْلَ يَمَلَأُ الْأَرْضَ نَسِيحًا
بِصَوْتِ مُجْلِجِلِ كَالْزَمَانِ
رَعَدَتْ فِي مَدَاهُ تَكْبِيرَةُ اللَّهِ
وَسَالَتْ بِهِ الْجِيُوشُ الْخَضَارِمِ
قَهَرَتْ بِالْكَتَابِ الْقَلْبَ كِسْرَى
وَهَرَقَلَا وَكُلَّ مَلِكٍ ضَبَارِمِ
رَفَرَفَتْ رَايَةُ النَّبِيِّ عَلَيْهَا
فَاسْتَظَلَّتْ بِهَا الدُّورُ الْقَشَائِمِ
فَإِذَا الْكَائِنَاتُ تَسْبِيحُ بِالنُّورِ
وَتَقْفَرُ عَنْ تَعُودِ بَوَاسِمِ

بنداد أنور العطار



التصوير التوضيحي

في المخطوطات العربية

للدكتور أحمد موسى

- ٢ -

كان من حسن الحظ أن ساهمت في المدد الممتاز الذي أصدرته مجلة الرسالة بمناسبة العام الهجري بموضوع أتينا فيه على بعض ما للعرب في مختلف الفنون التصويرية لتوضيح النصوص وتصوير كتب العلم والأدب مما يجلو غوامضها للقراء والراغبين في العلم، فنشرنا بضع صور ضوئية منقولة عن بعض المخطوطات القيمة في علم

تخطيط الأرض والفروسية والنقوش والكيمياء . وقد وعدنا القراء في ختام المقال السابق باستيفاء هذا الموضوع الطريف حقه من البيان . وها نحن أولاء قد وفقنا بعد البحث إلى ثلاثة كتب مخطوطة زيناها مؤلفوها بالتصاوير والأشكال الحقيقية تارة والرمزية طوراً؛ ففي كتاب « نهاية الإدراك في دراية الأفلاك » لمؤلفه قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي جملة صور فلكية أهمها صورة كسوف الشمس وقد جاء فيها :

« لكون القمر هو الكاسف والتوالي من المغرب إلى المشرق وهذه صورة الكسوف ، الفصل الرابع في أزمان ما بين الحسوفين والكسوفين ، أما الأول فمرفته مبنية على معرفة حدود الحسوفات وهي مقدرة بأثنى عشر جزءاً من بعد القمر عن إحدى المقدمتين

هَجَّتْ يَلا عِبُ نَفْسِي لِلْعِبِّ مَآغِنَايَ مِنْ زَمَانِي الدَّارِسِ؟

وَيْكَ ! إِنَّا نَلْعَبُ الْيَوْمَ كَمَا قَدْ لَعِبْنَا أَمْسَ فِي غَيْرِ مَلَلٍ
نَبْدَأُ الشَّوْطَ وَنَمْضِي كَلَمًا رَفًّا يَارْقَافُ لِلنَّفْسِ الْأَمَلِ

لَهُوْنَا الْيَوْمَ بِهَاتِيكَ الْمُنَى تَرَاءَى بَيْنَ نَشْرِ وَعَدَمٍ
نَحْنُ كَالْأَطْفَالِ إِلَّا أَنَا نَقْتُلُ اللَّذَّةَ فِيهَا بِالْأَلَمِ !
نَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى مَا فَاتَنَا وَنَذُوقُ الصَّابِ مِنْ كَأْسِ النَّدَمِ

رَفَّ يَلا عِبُ وَارْتَعِ وَأَنْتُمْ وَأَقْضِ مِنْ عَيْشِكَ فِي الزَّهْرِ الْوَطْرِ
اجْتَنِ اللَّذَاتِ وَاخْتَرِ وَأَقْتِمِ لَكَ فِي نُورِ الضَّحَى عُمْرُ الزَّهْرِ

وَيَنْجِ لِلْإِنْسَانِ مَا أَجْدَرُهُ بِهِيَامٍ مِثْلَ هَذَا وَرِمَاحِ
عُمْرُهُ الْمَكْدُودُ مَا أَقْصَرُهُ نَخَفَاتُ مِنْ مَسَاءٍ وَصَبَاحِ

اللطيف

فَيْكَ مَرَّةً آهُ وَفِي دُنْيَا الْكَرَى وَادَّكَارِ النَّفْسِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

حِينًا كُنَّا صَغِيرِينَ مَعًا لَا نَمَلُّ الْوُثْبَ فِي ظِلِّ الشَّجَرِ
وَنَرَى الرَّوْضَ جَمِيعًا مَرْتَعًا كَمْ تَمَلِّينَا بِهِ أَبْجَى الصُّورِ
زَهْرَتِي فِيهِ تَبَدَّتْ أَرْوَاعًا مِنْ سَنَا الصَّبِيحِ وَمِنْ سِحْرِ الزَّهَرِ !

آه ! كَمْ تَوَجَّعُ نَفْسِي «حِينًا» يَا خَلِيًّا لَيْسَ يَدْرِي مَا بِيَّةُ
وَيْكَ يَا قَلْبِي ! أَنْهَقُوا كَلَمًا طَافَتْ اللَّذَّةُ كَرَى وَتَصْبُونَانِيهِ؟ !
كُفَّ يَاقَلْبُ عَنِ الشَّكْوَى فَا يَنْقَعُ الْآلُ قُلُوبًا صَادِيَةً

كَمْ جَهَدْنَا وَجَرَيْنَا فِي الضَّحَى لَا نَرَى فِي لَهُوْنَا إِلَّا لَدِيدَ
وَمَلْنَا الرَّوْضَ إِلَّا مَسْرَحًا تَهَاوَى فِيهِ بِالْأَيْدِي عَلَيْكَ

إِنَّا يَا هَيْهَاتُ عَنِّي وَاقْتَرَبَ كَارِزِي طَافَتْ بِحُلْمِ النَّاعِسِ

في أى جهة كان ، لأن عرضه إذا جاوز هذا الحد زاد على



ش ١ - مقر النيرين في وقت الكسوف

نصف القطرين ، لأن غاية عظم نصف قطر دائرة الظل وهو إذا كان القمر في حضيض التدوير ست وأربعون دقيقة . وغاية عظم نصف قطر القمر ثمانى عشر دقيقة ، والعرض المساوى لجموعهما وهو أربع وستون دقيقة إنما حصل على بعد اثني عشر جزءاً وكسر من العقدة أو على بعد إحدى عشرة درجة ونصف بالتقريب يكون المرض درجة فبعد تجاوز المرض عن الحد يزيد على نصف القطرين ولا يمكن الخسوف حينئذ وبهذا الاعتبار ينقسم المائل إلى أربعة أقسام ... الخ (١)

وقد زين هذا المتن بصورة القمر والشمس من أعلاه والأرض من أسفله ، ورسم دائرة كبرى كتب على محيطها الفلك المائل وهو محيطها بمركز الشمس ، وداخلها دائرتان منساويتا القطرين تقابل محيطهما في مركز القمر . وكتب على محيط اليسرى منهما منطقة تمثل القمر ، وعلى اتجاه مركز القمر وفي استقامة اتجاه مركز الشمس رسم الأرض بيناً مركزها ، وعلى محيط الأرض

(١) راعياً أن يكون النقل طبق الأصل

اختار موضع الناظر ، كما أظهر مخروط القمر ومخروط الظل ويرى الناظر التأمل أن هذه الصورة لا تختلف شيئاً عن التصوير العلمي لقمر النيرين في وقت الكسوف ، فضلاً عن الدقة التي اتبعها المؤلف في رسم الدوائر الست بالرغم من أن عصر المؤلف يرجع إلى القرن الخامس عشر الميلادي

أما الكتاب الثانى فهو فى الكيمياء القديمة ويرجع تاريخ تأليفه إلى القرن الخامس عشر على الأرجح ، وهو يتناول ضمناً تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب . ونص الصفحة التى نقلها هو « صفة ما نقل من صوف ووسيموس وأوتاسيا : خذ من حجر — كا — ماشتت وهو الكبريت الأحمر الذى لا يخلو منه مكان والتى من الكبريت الأبيض مثله واسحقه فإنه يذهب

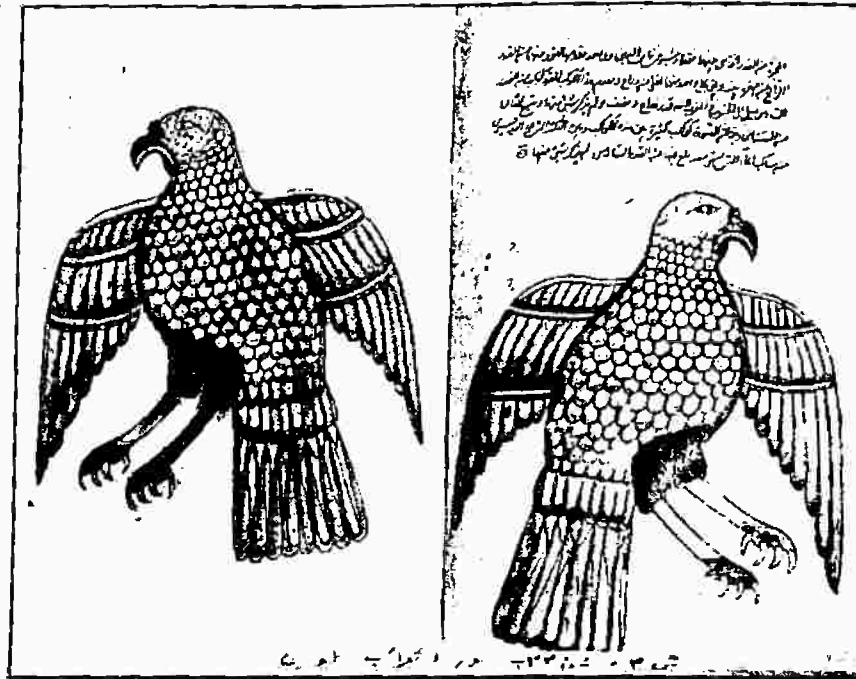


شكل ٢ - تحويل الزئبق إلى ذهب

بصلابته والتى مثلهم زيتاً بمحذروا عملهم فى النار ساعة ثم أعيد

عليهم السحق والسقي إلى أن يمجبك لونه ، فإني منه على حجر (؟) بصير ذهباً إريزاً والحمد لله تعالى ... » وتحت هذا التين متن آخر

انفصل عنه بصورة
تمثل ستة رجال بوجوه
كاملة الاستدارة
(ش ٢) ، وإلى يمين
هذه الرؤوس صورة
الهلال وإلى يسارها
صورة البدر ، وإلى
يمين ويسار المتن وقف
رجلان أمسك كل
منهما بسلسلة التفتت
حول عنق الستة
الرجال الذين وضع
كل منهم يسراه على



شكل ٣ - عن كتاب صور الكواكب للطوسي

الكيميائية ووسائل الصهر غير موجودة بالصفة التي تراها الآن وإذا كان العرب قد اجتهدوا في تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وأخفقوا ، فإن نظريات الكيمياء والطبيعة الحديثة أثبتت إمكان تحويل المعادن بالصهر ولائس آخر الأبناء من أن عالمنا ألمانيا هو الأستاذ ميتا أمكنه تحويل الزئبق إلى ذهب بالحرارة ، فكأنه بذلك جعل الأقدمية لعملاء العرب

وفي مقالنا القادم

سنتناول ناحية أخرى من نواحي التصوير الإسلامي أحمد مرسى

« مفرق الطريق »

مسرمة في فصل وامن

مع توطئة جامعة في الطريقة الرمزية في الآداب والعلوم

تأليف بشر فارس

الدكتور في الآداب من السوربون

وهو الكتاب الذي أجمع النقاد على إنه فتح جديد في

الآداب العربي وعنوان للتفكير العالي والإفشاء الرفيع

والكتاب مطبوع طبعا فاخرا جداً على صنفين من

الورق النادر وفيه تراويق وخطوط مبتكرة وعلى غلافه رسم

رسمي خاص من ريشة فنانة باريسية معروفة

والنسخ ٦٠٠ فقط . ثمن النسخة ١٠ أو ١٢ قرشاً

حسب صنف الورق عدا أجرة البريد . ويطلب من مكتبة

النهضة بمصر وسائر المكتبات المشهورة

صدره . وفي نهاية الصورة رموز شملت بعض حروف إغريقية وهيرغليفية وعربية ، فكانت إلى الطلاسم أقرب منها إلى الكلام المفهوم . ويرى المتأمل فيها بعض صور أشبه شيء برسم القلب والسيف والصليب

والصورة (ش ٣) منقولة عن كتاب صور الكواكب لمبد الرحمن بن عمر الطوسي ويرجع تاريخه إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي . وهي تمثل النسرين الواقع والطار . وقد جاء فوق صورة النسر الأيمن ما أوله : المجرة عند القدر الخامس بينهما مقدار شبر من رأس العين ... الخ وحلى كل نسر منهما بمد الكواكب المشرقة في بدنه وجناحيه وذيله وغالبه

يرى القارىء مما تقدم أن التصوير كان مستعملاً عند العرب لتفسير ما غمض في المؤلفات العلمية بقصد تمام التوضيح على قدر ما سمحت به وبائلهم ولا سيما في علمي الكيمياء والفلك ، فإن أدوات الرصد كانت معدومة تقريباً ، ولم يكن لدى الفلكي منهم سوى قواعد الحساب على الطريقة القديمة ، كما كانت الأدوات

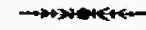


كارنا وكونتي

للشاعر الفيلسوف رابنرانات طاغور الهندي

للأديب شكرى محمد عياد

(كان لكونتي ملكة «بنداوا» قبل زواجها ولد هو كارنا الذى أصبح فى رجولته قائداً لرحط الكيراوين ، ولكن تدفع عن نفسها اعار هجرته عند مولده فرباه خوذى اسمه أجيران)



كارنا — إننى أنا كارنا ، ابن الخوذى أجيرانا ، أجلس هنا على ضفاف الكنج أعبد الشمس النارية ، فمن أنت ؟
كونتي — إننى أنا المرأة التى فتحت عينيك لأول مرة على هذا النور الذى تبعده

كارنا — لست أفهم ، ولكن عينيك تصهران قلبي ، كما تقبل الشمس تلجأ على قمة جبل ، وصوتك يبعث فى حنايا صدرى حزناً أعمى ، نوى السرفيه بنجوة من ذكرياتى الأولى ، خبريني أيتها المرأة الفريية ، أى لغز يصل مولدى بك ؟

كونتي — صبراً جيلاً يا بنى . سوف أجيبك حين تنسدل أجفان الظلام على عيون النهار المستطلعة . أما الآن فاعلم أننى كونتي
كارنا — كونتي ! أم أريونا ؟

كونتي — نعم بلا ريب ، أم غريمك أريونا . ولكن لا تُبْصِصْنى لذلك يا ولدى . إننى ما برحت أذكر يوم السلاح فى هاستينا ، حين قفزت إلى الحلقة فى جرأة وأنت غلام مغمور ، فكنت كشعاع الفجر بين نجوم ليل . آه ! من كانت تلك المرأة التى قبلت عيناها جسدك العاري الرشيق من خلال دموع كانت تباركك وهى جالسة بين نساء القصر الملوكى وراء السجوف ؟ كيف ؟ لقد كانت أم أريونا ، حينذاك برز البرهمنى أستاذ السلاح

وقال : « ليس لشاب وضع النسب أن يبارى أريونا » فوقفت لا تتكلم ، كسحابة برق تأتلق عند الغروب بنور مكتوم . ولكن من هى المرأة التى اشتعل قلبها لمارك وغضبك وأرسل فى سكون لهيب النار ؟ هى أم أريونا !

رعى الله دريوجانا الذى عرف قدرك ، وتوجك ثمة ملكاً على الأنجا ، فكسب للكرواسى بطلا . لقد ملأ الفرح قلب أجيرانا ، فشق الحشد نحوك ، فهرعت إليه وألقيت عند قدميه تاجك ، وإذا البنداوين وأصحابهم هازئون ضاحكون . ولكن امرأة واحدة من بيت البنداوين توهج قلبها فرحاً بما فى تواضعك من كبرياء البطولة — لقد كانت أيضاً أم أريونا !

كارنا — ولكن ماذا جاء بك هنا وحدك يا أم الملوك ؟
كونتي — لقد جئت أسألك معروفاً

كارنا — مريئى ، وأبما سمعت رجولتى وشرفى الشاترى فسوف ألقيه عند قدميك

كونتي — لقد جئت لآخذك
كارنا — إلى أين ؟

كونتي — إلى صدرى الظائى لحبك يا بنى
كارنا — أيتها الأم السعيدة بخمسة ملوك أشاوس ؛ كيف تجدين فى قلبك منسماً لحبي وما أنا إلا قائد وضع النسب ؟
كونتي — إن مكانك فيه قبل كل أبنائى
كارنا — ولكن بأى حق أحمله ؟

كونتي — بمحقق الموهوب من لدن الله فى حب أمك
كارنا — ها هى ذى غبشة السماء تنتشر على الأرض ، والسكون يرين على الماء ، وصوتك يرجع بى إلى دنيا من الطفولة تنهى فى الذكريات . فليكن هذا حلماً ، أو فليكن شعاعاً من حقيقة منسية ، ولكن تعالى وضى عيناك على جيبني . إن الناس يتنافلون أن أمى هجرتنى . وكم من ليلة زارتنى فى نوى ، ولكن

كارنا - أماء ، تقبلي مني دموعي ؟
كونتي - ما كان أمل من المجد أن أعيدك إلى ذراعي ،
بل لأعيد إليك حقوقك . تمال وتقبل كابن ملك مكانك
بين إخوتك

كارنا - إنه أحب إلي أن أكون ابن حوزي . إني لا أتوق
إلى مجد نسب أعظم من نسبه
كونتي - فليكن ذلك كما تريد . ولكن تمال واسترجع
ملكك فحي حقك !

كارنا - أتمزني بملكة وأنت التي استكثرت على حب أم ؟
إن صلة الرحم التي اجنثت جذورها قد ماتت ، ولن تستطيع
أن تحيا مرة أخرى . لي المار إن أنا ناديت أم الملوك أمأ ،
ونبتت أمتي في بيت الحوزي !

كونتي - أنت عظيم يا بني ! لكم ينمو قصاص الله من
بذرة ضئيلة إلى حياة حافلة ! ها هو ذا الوليد الذي نبذته أمه يمود
فينبث من ظلام الحادثات رجلاً يحق إخوته

كارنا - أماء لا تخشي شيئاً ! إني لملئ يقين من أن النصر
للبنداويين ، وفي هذا الليل الهادي الساجي يمتلئ قلبي بموسيقى
من المفاخرة اليانعة والنهاية الفاضحة . لا تسأليني أن أنسل من
بين أوثاك الذين حققت عليهم الهزيمة ؛ فليكسب البنداويون
العرش إذا لم يكن من ذلك بد ، ولأبعد أنامع اليانسين والمحزوتين .
لقد تركيتني للخزي ليلة ميلادي ، عارياً غير مسمي ؛ فأركبني
مرة أخرى بغير شفقة أنتظر الهزيمة والموت في هدوء !
شكري محمد عباد



حين كنت أصبح بها : « إرغمي عنك الفناع ، أربني بحياك ! » كان
شبحها دوماً يتلاشى . فهل زارني الليلة عين ذلك الحلم وأنا يقظان ؟
أنظري ! هاك المصاييح تلوح عن بعد وراء النهر مضاءة في خيام
ابنك ؛ وعلى هذه الضفة خيام أصحابي الكبروايين كأمواج
عاصفة في البحر علقها ساحر . لماذا يجيئني صوت أم غربي أريونا
برسالة من الأمومة المنسية ، في رهبة هذا الرج حيث يدوي طنين
معركة الفد ؟ ولماذا يسكب لسانها في أسمي هذه الموسيقى فيجتذبي
إليه وإلى إخوته ؟

كونتي - إذن فلا تترث يا بني ، تمال مني !
كارنا - أجل ، سوف أجيء وإن أسألك سؤالا ، فلا
تساورك إذن ريبة . إن روحي نستجيب لندائك ، والكفاح في
سبيل النصر والذكر ونار الشنآن قد عادت أمام عيني أوهاما
وضلالات ؛ كما يتلاشى هذاء الليل في جلال الفجر . خبريني
أني تفوديني ؟

كونتي - إلى الضفة الأخرى من النهر حيث تشتمل هذه
المصاييح في شحوب الرمال المروع
كارنا - أو سوف أجد هناك حتى الأبد أي المفقودة ؟
كونتي - آه يا بني !

كارنا - إذن فلماذا طردتني شريداً جثاً من أرض
أجداده ، صعلوكاً يرَجِّحُ في تيار من الخزيان ؟ لماذا ضربت
بيني وبين أريونا هوة لا تُجتاز ، ورددت أركي ميول الدم إلى
أنكي عواطف البغضاء ؟ إنك تبقيين سامية . إن طارك يسرى
في الظلام البعيد ويبعث في أطراف رعدة لا ترى . أبداً لا تذكرني
لي ما جعلك تسليين ولدك حب أمه ! ولكن خبريني لماذا جثت
اليوم تسترجعيني إلى أطلال سماء ثلاث عروشها بيدك ؟

كونتي - إن لعنة تحمل عليّ هي أشق من لومك . إني
وإن تكنتني خمسة أبناء ليرفرف قلبي كقلب أم حرمت بنيتها ؛
ومن هذا الجرح الذي انشق على أول أبنائي ، ولت كل مسرات
حياتي . في ذلك اليوم اللعين حين خنت أمومي ، لم تكن أنت
تستطيع أن تفوه بكلمة . واليوم تضرع إليك أملك النادرة أن
تمنحها من لدنك ألفاظاً كريمة . دمع غفرانك يحرق قلبها كالنار
ويلتهم خطيئته



في معرض الفنون

سيدى صاحب الرسالة

في « الرسالة » رقم ٢٥٣ مقال عنوانه : « جولة في معرض الفنون » بقلم نصرى عطا الله سوس . وقد كنت أعددت للرسالة مثل هذا المقال ، فاذا المقال المنشور يوافق ما كنت أعدده ، فرأيت إهماله . غير أنى أحب أن أزيد على ما جاء في مقال الأستاذ نصرى عطا الله سوس النفيس أن أبرز ألواح المعرض إنعاشاً من صنع السيدة إبنى نمر وطريقتها التأثرية الرقيقة البعيدة عن تعقيدات « المدارس » ، ثم الصديق محمود بك سعيد وإن أصبح ينسج على منوال واحد من التعبير ، ولكنه تعبير قوى أقرب إلى فن النحت التمثيلي منه إلى التصوير . ثم إنى لأشارك الأستاذ سوس في ذهابه إلى أن أسلوب إدمون صوصة لا يبدو المحاكاة الضاربة إلى « القوتوغرافية » . وأما جورج صباغ فأسلوبه فوق هذا ، لأن محاكاة الطبيعة عنده إنما يجرى بين جوانبها ماء الفن ، إلا أنه فن يرجع إلى الحذق والدراية لا إلى التأثر الدفين واستلهم ما وراء المنظور وتدوين اللوائح والمواجه . وذلك لأن جورج صباغ — على نهايته — أو قل من أجل نهايته يندرج في سلك « الأكاديميين »

بقى أن الأستاذ سوس وعدنا أن ينشر في الرسالة « سلسلة من المقالات يبين فيها فلسفة الفن الحديث وأصوله ومذاهب الفنانين المختلفة ومميزات كل مدرسة ، إلى غير ذلك مما يتصل بالتصوير والنحت والرسم » لأنه « لاحظ أنها بمجولة تماماً بين كل من نعرف إليه » . وهذا قول حق ، فإن من المتعذر على ناقد الفن أن ينشئ المقالات وجمهور القراء عن أصول الفن وتاريخه متناقضون قليلاً أو كثيراً . ولقد أفضت في هذا الموضوع لسنتين مضتاً في صحيفة الأهرام (١٨ مايو سنة ١٩٣٦) : « على هامش

معرض الصور » . فعسى الأستاذ سوس أن ينبرى للكتابة فيما يشغل صدره وصدر المشتغلين بالفن أو بنقده .

بشر فارس

المصريون واللغة الحبشية

من مآثر الشباب المصرى الذين يطلبون العلم الرفيع في جامعات أوروبا ذلك السّفر النفيس الذى نشره لشهرين مضياً الأستاذ الدكتور مراد كامل وهو ممن بمنته الجامعة المصرية لتلقى اللغات السامية في ألمانيا

وموضوع هذا السفر (ويقع في ٣٨١ ص من القطع الكبير) « تاريخ اليهود » ليوسف بن كربون المشهور بيوسفوس ، وقد طبع باللغة العبرية غير مرة وباللغة العربية مرتين . وأما باللغة الحبشية فلم يطبع منه سوى صفحات معدودة ، فرأى الدكتور مراد كامل أن يطبع الترجمة الحبشية لهذا الكتاب ، واعتماده في ذلك على اثنتي عشرة مخطوطة أصابها في برلين وفرانكفورت أمّ مَين ولندن وإدريس وشتراسبيرج . وقد عمل للكتاب مقدمة علمية غاية في الدقة وصف فيها المخطوطات وبحث في الأصل العبري والترجمة العربية له ، ثم زاد على هذا جدولاً أثبت فيه ماسقط في النص العربي وهو مدون في النص الحبشى ، ثم ماسقط في هذا وهو مدون في ذاك إتماماً للفائدة

ونشر الكتاب دليل ناهض على رسوخ الدكتور مراد كامل في معرفة الحبشية والعبرية والعربية وتمكنه من فن الاستشراق وأساليب البحث العلمى وطرق معارضة الأصول ونشر المخطوطات . ثم إن هذا السّفر النفيس نال به نأشره الدكتوراه في العلوم الفلسفية من جامعة توبنجن بألمانيا على يد المستشرق الكبير الأستاذ لَين من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكى . وسيقفل الدكتور مراد كامل إلى مصر بعد أشهر معدودة ليقوم بتدريس

الأصل . فإن اتهم بعض كتابنا بالسطو على تأليف المستشرقين ،
فهؤلاء المستشرقون يسلطون أيديهم على تأليف بعضنا ؛ . . .

كتاب الهمزة

في (الهلال) الفراء - جزء مايو ٣٨ - هذا القول لسعادة
الدكتور بهي الدين بركات باشا : « ان الهمزة وطرق رسمها من
المسائل العقدة التي يذلل تلاميذ المدارس مجهداً شاقاً في فهمها
وحفظ قواعدها . ومع ذلك فكثيراً ما يقع الخطأ فيها حتى من جهات
لا ينتظر أن تقع فيه . وإلا فما القول في أن وزارة المعارف تحتفل
بعيد المدرسة الخديوية الثانية وتوزع على طلبتها السابقين استمارات
تكتب فيها لفظ (يملؤها) خطأ ، اذ رسمها على (ألف) بدل الواو
أقول : كتابة (يملؤها) والهمزة فوق الألف مثل كتابة
(يملؤها) والهمزة فوق الواو ، كلتاها صحيحة . ومن قول ابن
قتيبة في ذلك في (أدب الكاتب) : « وإنما اختار الألف لأن
الوقوف على الحرف اذا انفرد وأبدل من الهمزة - على الألف ،
وكذلك يكتب منفرداً ، فتركه على حاله إذا أضيف »

وقاعدة الهمزة أسهل قاعدة في الدنيا ، وتعلم معظمها الطلاب
لا يقتضى أكثر من ربع ساعة . وهذه قاعدتها بالقول المسهب :
دع الهمزة ، وتلفظ بالكامة تلفظاً مقبولا ، ثم ضمها فوق حرف
الملة ان كان

نصريب

جاءت « من عبقرية نابعة العرب » في مقالة (أبو الغلاء حرب الظالمين)
في أول المقدمة لأقواله وإنما هي العنوان الثاني ، وفي الفقرة (١٠) « ستر
ضوؤها » وهو ضوؤها ، وفي الشرح « النداء » وهو الفراء

نحت الطبع :

حياة الرافعي

للأستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة
الرسالة ، أو إلى المؤلف بمئوانه :

شبرا مصر . شارع مسرة رقم ٦

نمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

اللغات السامية في الجامعة المصرية ، وهو يطبع الآن في ألمانيا
رسالة أخرى لنيل إجازة التدريس العالي (الأجر بجاسيو) ،
وموضوع الرسالة « الفعل الرباعي في اللغات السامية »

مستشرق بسطو على كاتب سرفي

نشر المستشرق الفرنسي الأستاذ إميل درمنجهيم في المجلة
الفرنسية le mois (عدد مارس ، إبريل ١٩٣٨) بحثاً
عنوانه : « الحالة الحاضرة للأدب العربي » وقد نقلته جريدة
« المكشوف » البيروتية إلى اللغة العربية . والحق أن هذا البحث
لا يعدل الباحث القويعة التي يكتبها كبار المستشرقين أمثال
كراتشكوفسكي وجب ومانسينيون وكامفجار ؛ وإنما هو عرض
جاف لا يلم على اتصال بالحياة العربية ، ولا على تفهم لأسرار اللغة
العربية ، ولا على تذوق لتأليف كتابنا المحدثين . والسبب في ذلك
أن المؤلف لم ينظر في الأصول نفسها ولم يدرس حياتنا الاجتماعية
عن كثب ، ولكنه اعتمد على ثلاثة مباحث ، فجاءت كتابته
ضرباً من الفضول . وأما الباحث الثلاثة فالكتاب الذي ألفه
كامفجار وخيرى باللغة الانجليزية سنة ١٩٣٠ وعنوانه « الزعماء
في الأدب العربي الحديث » ، ثم المقالات التي نشرها الأستاذ رجب
في « صحيفة مدرسة اللغات الشرقية » حول الأدب نفسه ونقلها
جريدة السياسة إلى العربية ، ثم المحاضرة التي ألقاها الأستاذ الدكتور
بشر فارس في معهد الدراسات الإسلامية في السوربون ثم نشرتها
« مجلة الدراسات الإسلامية » لمنشئها الأستاذ مانسينيون سنة ١٩٣٦
(الجزء الثالث) في باريس . ولما كانت هذه المحاضرة موقوفة على
الأدب العربي الحديث جداً وتتناول موضوعات مهمة مثل الصعوبات
التي باقها الكاتب العربي الحديث في ميادين اللغة والثقافة والاجتماع ،
فقد سطا عليها المؤلف بنير دراية دقيقة بالموضوع ، فأخذ منها كلامه
على المشكلات اللغوية ، ومصاعب الحياة الاجتماعية ، وطرائق الكتاب
في التأليف ، وألوان معالجة الموضوعات وخصائص الأساليب من
قديمة وحديثة ، وتأثير اللغة الأفرنجية في الانشاء العربي ، وظواهر
التضال القائم بين أنصار التقليد وأنصار التجديد . وكان المؤلف
شمر بأنه غلا في الأخذ فذكر صاحب المحاضرة مرة واحدة في
الهامش . وذلك لأنه اقتبس عنه نصف صفحة كاملة بحروفها
عند الكلام على جمود اللغويين عندنا ، فلم يكن بد من الإشارة إلى

بين العقاد والرافعي

قرأت ما كتبه « العضو المنتدب » الأستاذ محمود محمد شاكر
فرايت أنه في الصفحتين الطويلتين اللتين كتبهما ، لم يقل في
الموضوع الذي أكتب فيه شيئاً ، إنما هو تمريض وغمز ولمز ،
وجمل إنشائية ، وقولة مأتورة من هنا وبيت شعر من هناك على
نظام موضوعات الانشاء ، مما لا يتمشى وروح العصر الذي نميش
فيه . ولا أستطيع أن آخذ نفسي به

وقد آثرت أن أذكره برأس الموضوع الذي نتحدث فيه :
فهو « أدب العقاد وأدب الرافعي » وما يدل عليه أدب كليهما من
نفسه . ثم أنتظر أن يكتب شيئاً في الموضوع ، فإن فعل ناقشته
وإن لم يفعل فهو وشأنه ، وسأستمر في طريق

وتلك خطتي كذلك مع من كتب في العدد نفسه ، يمرض
بين السطور !

محول كلمة (هال ها)

أشكر للأستاذ محمد عبد الفنى حسن لقاءه الكريم لقصدي
« البعث » ، وأعتذر من إبطائي في الرد على رأيه في كلمة (هال ها)
وبعد فأجيبه أن هذه الكلمة كما ذكرت ابتدعها الأستاذ
فريد ، ومادام الأمر أمر ابتداع فلا محل إذا أردنا إلى أصل لفوى .
وإذا صح ما ذكره الأستاذ من أن كلمة هال نداء لرجل الابل
فإنها محض مصادفة ، إذ لم يدر بخلد الأستاذ فريد عند كتابة هذه
الكلمة في رواية « ميسون الفجرية » أى أصل لفوى كما
أخبرني بذلك

وأما من حيث معنى كلمة Heigh Ho الإنجليزية فهي أيضاً
كلمة مبتدعة في تلك اللغة ، فدار معرفة معناها على استعمالها . وقد
استعملها شكسبير وغيره في بدء أغانيهم التي يريدون بها التعبير
عن المرح والانطلاق من القيود كما جاء في رواية As you like
ولقد رجعت إلى قوم من أهل تلك اللغة فاتفقوا على أنها لا تستعمل
إلا في بدء الأغنيات . أما عن معناها بالضبط فلم أظفر منهم
بتحديده ، ومرجع ذلك إلى أنها كلمة سماعية مبتدعة جرت في
الأغاني دون أى اشتقاق لفوى ... هذا وللأستاذ الفاضل شكرى
على اهتمامه ودقته والسلام

الخفيف

جوائز وزارة المعارف لوضع كتاب في تاريخ الأدب المصري

من الفتح الاسلامى

رأى معالى وزير المعارف تمكيناً للدراسات المصرية وتشجيعاً
للبحث الأدبى وضع مسابقة في تاريخ الأدب العربى في مصر من
الفتح الاسلامى إلى الآن

وبتلخيص موضوع هذه المسابقة فيما يأتى :
« للأدب العربى في مصر طابع خاص اختلف في المصور
الأولى للفتح الاسلامى عنه فيما تلا ذلك من المصور وهو يتناول
إنتاج الكتاب والشعراء الذين وفدوا من البلاد العربية والاسلامية
إلى مصر وأقاموا بها كما يتناول إنتاج الكتاب والشعراء المصريين
الصميمين

وقد تأثرت مصر بالطابع العربى في أدبها في حقب مختلفة ،
وآثرت في الأدب العربى بتفكيرها وثقافتها وبحكم البيئة المصرية
في حقب مختلفة أخرى

والذى تطلبه وزارة المعارف وضع رسالة في نحو ٦٠٠ صفحة
من القطع المتوسط حرف مطبوعة بولاق بنط ١٥ نتناول تاريخ
الأدب العربى في مصر مقسماً قسمين : أدب المصريين الصميمين ،
وأدب غير المصريين ممن قاموا بمصر وأثروا فيها أو تأثروا بها ،
مع إظهار صلة الأدب من إنتاج هؤلاء وأولئك بالحياة العامة
اجتماعية وسياسية واقتصادية ، وإظهار الصورة التاريخية التى
يرسمها هذا الأدب المصرى في عصوره المختلفة

أما الجوائز المقترحة فثلاث مجموعها ٥٠٠ جنيه توزع بين
الفائزين حسب رأى لجنة التحكيم على أن تقدم الرسائل إلى
الوزارة في ميعاد لا يتجاوز آخر يناير سنة ١٩٣٩

عصر الفيلسوف ابن مسكويه

سيدى الأستاذ الفاضل محرم الرسالة
بعد التحية : ذكر حضرة الصديق الفاضل الأستاذ محمد
حسز ظاظا في العدد الماضى من الرسالة القراء أن ابن مسكويه
عاش في العصر العباسى الثالث أى في العصر الذى يتنازع بضعف
الخلافة العباسية . ولعل حضرة بقصد العصر الرابع لأن ابن
مسكويه عاش من سنة ٣٣٠ إلى سنة ٤٢١ . وهذه الحقبة من
العصر تقع في العصر الرابع لا الثالث

بعض الأحيان إلى السفطة والمغالطة ^(١)

ومثل هذه المغالطات في تفهم التاريخ ، أو قل في تأويله بحسب الزعات الشخصية لا يبنى عنها ذكر كلمة — على ما فيها من خطأ وصواب — لأننا نفهم من الخطأ والصواب شيئاً غير هذه المغالطات البنية على حاجات هي في نفس يعقوب . وإذا كانت هذه طريقة الأب — لامنس — في كتابة التاريخ الاسلامي ، فهل يأتى من المعقول أن تصبح آثاره في ذروة الأبحاث العلمية ، والأبحاث العلمية لا يجلبها عادة إلا عقل متجرد عن كل هوى ، وروح ظهرت نفسها من كل درن موروث

وبتم الأستاذ المحدث كلمته : « أما ما ينقل في بعض الصحف العربية من أبحاث لغوستاف لوبون وسيدو وريتان ، يهول ناقلوها بنعوت المستشرقين يلصقونها بأوثاك المؤلفين ، فلقد كان من الخير للاستشراق والناقلين وللصحف أن تدعها في أماكنها من زوايا المكاتب . » وهذه كلمة ثانية كشفت عن المر الذي أملى الكلمة الأولى لأن التاريخ الذي كتبه هؤلاء المستشرقون هو تاريخ كائن سطره الغرب للعرب . لأن هؤلاء استطاعوا أن يتجردوا من العوامل الموروثة والتقاليد المذمومة ، فكتبوا كما أوحى إليهم ضميرهم ، ولم نعمهم محاسن النصرانية عن محاسن الاسلام ، ولم يطمس التعصب على قلوبهم شأن من طمس عليهم . ولا أدري أكان هؤلاء ممن يسرون ما لا يملنون ، أم كانوا يخادعون فيما يسطرون ؟ ولا أدري أية حاجة تدفعنا الى إثبات المصادر التي نهج نهج الطريقة الأولى في الطعن على العرب والنيل منهم واعتبار هذه الطريقة العلمية الصحيحة ؟ أرجو من الأستاذ الكريم أن يفسر الأسباب التي دعت إلى إثبات هذا الرأي إذ ليس من الحق اعطاء نتيجة من غير أسباب . وأرجو أن يفيدنا عن قيمة النصوص التاريخية التي اعتمد عليها كل من أصحاب الطريقتين وعن العوامل التي جعلته لا يركب أصحاب الطريقة الثانية . حتى إذا كان في رأيه ما يعتقد به العقل المجرد أودعنا ما عندنا من كتبهم في زوايا المكاتب ، وإن أراد أطمعناها النار !

حقاً لقد تركنا المستشرقين في حيرة من أمرهم ، فهم إن كتبوا بما يلائم هوانا وعزنا قلنا عنهم : أنهم يخادعون ويكذبون ؛ وإذا

(١) من فصل نشر في مجلة القنط عن الأب — لامنس —

وقد ذكر حضرته أيضاً أن هذا العصر يمتاز بتشكوي المماجم اللغوية ، وهذا الكلام القليل يحتاج إلى تفصيل ؛ فإن علماء اللغة في هذا العصر لم يملنوا في الكثرة والاحاطة ما بلغه علماء العصور التالية إلى القرن التاسع الهجري

وأشهر لغوي العصر الرابع ابن دريد صاحب الجهرة ، والأزهري صاحب التهذيب ، والجوهري صاحب الصحاح . أما علماء العصور التالية فأشهرهم ابن سيده صاحب المحكم وقد عاش في القرن الخامس . والصاغاني صاحب مجمع البحرين ، وقد عاش في القرن السابع . وابن الأثير صاحب النهاية ، وابن مكرم صاحب لسان العرب وقد عاشا في القرن السابع أيضاً . والفيووي صاحب المصباح وقد عاش في القرن الثامن . والفيروزبادي صاحب القاموس وقد عاش في القرن الثامن وأدرك طرفاً من التاسع (النسوة)

محمد عبد الغني حسن

ما نرهم معرفته كل أرباب عربي

تلوت في جريدة المكشوف الأدبية كلمة تحت هذا العنوان منقولة عن حديث للأستاذ فؤاد أفرام البستاني ، وللأستاذ حفظه الله عندي مكانة متينة واعتقاد حسن بما يكتب ويقول ، لأنه لا يقول إلا بعد تثبت ، ولا يكتب إلا بعد دراسة وافرة . يعالج كل ذلك بصبر وجلد ونشاط . وقد وقع عندي موقع الفراية رأى له في المستشرقين لا أدري كيف كونه له نفسه

يقول : « وإن أذكر شيئاً من هذه المؤلفات المفيدة على ما فيها من خطأ وصواب فلا بد من أن أتوه بمعلومات الأب — لامنس — وهي في نظر كبار المشتغلين بالأدب العربي في ذروة الأبحاث العلمية ... »

فالأب — لامنس — مستشرق كبير ولا سبيل إلى الشك فيه . ولكن هل كتب تاريخ العرب بالروح المجردة التي ينبغي أن يكتب بها ؟ (ولا سيما في المسائل الاسلامية التي بالغ في التعصب عليها ، مما جعل المؤرخين وعلى رأسهم المستشرقون يشكون في أمانته العلمية ويتهمونهم بركوب متن الشطط) . وهل يفنى في الرجل سعة اطلاعه وقوة حجته عن الأمانة التي أفسدها ؟ (وهو الذي كان يسلب العرب الفضائل والصفات الخلقية الجميلة التي أجمع المستشرقون على نسبتها إليهم ، وكان في خصومته هذه يعمد في

سقطوا بما يجردنا من كل فضل وعزة رفعنا على فضلهم مناراً . كبيرة كانت شاعرة في فلاحه الأزهار .

محمد بهجت

وأقنا لعلمهم علماء !

أما وقد كذبوا علينا مراراً فليخطئوا مرة

واحدة فليل فنداري

نباتات الزيتية العتيبة

ظهر حديثاً في عالم المؤلفات الزراعية كتاب « نباتات الزيتية العتيبة » للأستاذ محمد كامل حجاج . والألف هاو كبير ومحب عظيم للنباتات . وهو يكرس لها وقته وجهده وماله . وقد ساخ الشطر الأكبر من حياته في دراسة نباتات الزيتية دراسة عملية مستفيضة يحدوه شغف عظيم بها وحب طبيبي لها حتى أصبح ثقة من تقامها القليلين في مصر

قدم للكتاب بمقدمة وجيزة ضمنها نبذة صغيرة عن تاريخ الحدائق بمصر ، وكذلك شيئاً عن المناخ والتربة وما ينتج من النباتات بمصر ومالا ينتج بها والظروف الملائمة لها ، ثم عن الأكلان والأسمدة مما لا غنى عنه لمتدعي مسترشد

وبعد ذلك قسم النباتات إلى صنفية وختوية وتكلم عن كل منها في ترتيب أبجدي شامل . ولم ينس في الآخر أن يخص تزيين الشرفات والموائد بوضع صفحات شائقة قيمة

وممتاز الكتاب بشيئين بارزين :

أولهما : الإيجاز التام في الشرح والأداء إيجازاً لا يخل عادة

ثانيهما : كثرة الصور الجميلة الواضحة مما يندر أن تصادف مثلها في مؤلفاتنا العربية فالكتاب يصح أن يكون مرجعاً سهلاً نميناً للهاوي والمختص . وأعتقد أنه سد ثغرة

لولا وجود صابون بالموليف
لكنست لا استعمل لغسل وجهي سوى زيت الزيتون .
لكن وأحمد لله - ان زيت الزيتون الموجود في كل صابونة
يفني عن استعمال الزيت نفسه



هذه هي كمية زيت الزيتون وزيت
النخيل الموجودة في كل صابونة من
بالموليف أيتها السيدة
وباضرات الرجال انكم تعلمون
اوجهمكم بهذه الزيوت اللينة
حيثما تعلمون صابون بالموليف

